﴿وذكرهم بأيام الله﴾

الأيـام المباركـة في القـرآن والسنة

أ. محمد محمود عبد الله
مدرس علوم القرآن بالأزهر

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكريم الوهَّاب، خالق الخلق ومقدر الأسباب، غافر الذنب وقابل التوب ممن تاب، فاتح أبواب رحمته لمن أخلص بالجد فى طاعته. مانح العطاء لأهل الصفاء والطهر والنقاء. الذين صفت نفوسهم. فاستنارت قلوبهم. ففتح لهم من حجب الأستار أبواب. فلزموا الباب يتفكرون بعين البصيرة ويأخذون بالأسباب. فيشعرون بالنظر في الملك والملكوت. آثار قدرة الحى الذى لا يموت أولئك الأحباب.

﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾

فسبحان من بيده ملكوت كل شىء. الذى سخر للإنسان كل شىء ومنحه العقل فارتقى به كل شىء. شارك الطير فى فضائها. والحيتان فى بحارها. فتبارك من أمره بين الكاف والنون إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. المنزل على عبده **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾**.

فالفرحة الحقيقية للمؤمن، هى أن يشمله فضل الله عز وجل. وأنْ تغمره رحمته. فمن نال فضل الله تعالى،وفاز برحمته، خير له من خزائن الدنيا وما جمع أهليها فيها من غرض زائل. ومتاع زائف.

ومن رحمة الله تعالى أنْ أرسل محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق. فأرشد إلى خير الزاد وإلى الطيب من الأماكن والأوقات. ليتقرب بالسجود والدعاء إلى الله تعالى، كل بار، فيزداد قربى من العزيز الغفار، ومعلوم أنه من زاد فى القربات. فتح الحق تعالى له من السماء والأرض بركات، فتشرق له بنور وجه الله العظيم الظلمات، فتتحقق له السعادة فى المحيا بعد الممات، وينجو من الهول الأكبر يوم الحسرات. ومما يسعد به المؤمن أنَّ السلامة فى ثلاث:

١ ـ سلامة الجسد فى قلة الطعام.

٢- وسلامة الروح فى قلة الآثام.

٣ - وسلامة الدين في اتباع منهج سيد الأنام محمد ﷺ الذى أرشد إلى الطيب من الأماكن والأوقات وخير الأيام... .ليغتنم فيها أولوا الألباب. درجات القرب من العزيز الوهاب. فتوهب لهم النجاة: ﴿**يوم ينظر المرء ما قدمت يداه**﴾.

ولا يغيب عنَّا أن سجود الطاعة بالرجاء والضراعة يحقق للعبد الشفاعة في الدنيا ويوم تقوم الساعة، فما نجا صاحب الحوت إلا بسجدة ضراعة. سبح فيها بحمد الحى الذى لا يموت. بضع كلمات، تعلقت بعرش خالق الأرض والسموات. فشفعت له عند المليك سبحانه، فنجا بهنَّ من الكرب والهلاك والضيق وهاك هى الكلمات التى سجلها له القرآن العظيم: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين**﴾.

نتبين من صرخة الاستغاثة هذه بضراعة يونس عليه السلام في بطن الحوت. مدى درجة قرب وسرعة إجابة الحى الذى لا يموت فيما قرره التنزيل: ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين**﴾.

إجابة تصحيحها نجاة تفيد الشمول. نجاة من الهلاك. ونجاة من الكرب. وفيه بيان مدى سعت رحمه الله عزوجل. وعفوه عن عبده متى ندم. وعلم أنَّ القوة لله جميعا. فاستغاث ولزم.

وعاهد أنْ لا يغتر وأدرك وفطن كان حقاً على القادر والمقتدر أنْ يرحم ضعف قوته، وقلة حيلته؛ لأنه رب كل شىء، ومليكه، يجيب المضطرين، ويغيث المستغيثين، ويرحم المستضعفين، ولا يطرد عن باب جوده المحتاجين...

ولا يغيب عن الأبرار أنَّ قاعدة التفاضل بين الأشياء أقرها العزيز القهار عز ثناؤه. فى كل شىء. في الزمان والمكان. فى الخلقِ والخُلُقِ، في الرُسل والأمم فى الشهور والأعوام، في الساعات والأيام، وقد توالتْ النصوص التى تؤكد ذلك فى الكتاب والسنة فى مثل قوله عز شأنه: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات**﴾.

وقوله عز شأنه: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾.

وفى مثل قوله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة. فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن. يسأل الله تعالى. حاجة إلا أعطاه**».

وقوله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة، وخير الدعاء. دعاء عرفة**» وتحت قاعدة **﴿وذكر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾**».

نبين في هذا الكتاب بإذن الله تعالى. الأيام المباركة فى القرآن والسنةلينتفع بها الأبرار. تأسياً بقول الحق عز شأنه. لموسى الكليم عليه السلام. آمراً إياه أنْ يذكر قومه**﴿ وذكرهم بأيام الله﴾**.

والله تعالى. أسأل أنْ ينفع به السالكين. والسائلين، والداعين. والطالبين، نفحة من بحار الفويضات الربانية من فيض أنوار نسمات الذاكرين. وهمس أنفاس العابدين. ونبع دموع التائبين. وضراعة خشوع الساجدين. وطمع رجاء الخاشعين. وخضوع خوف العارفين. ومن بلغوا مراتب الكشف الحجابى لا الكشف الترابى. فبلغوا من كشف الستور أنوار فاضت بها. الحضرة القدسية. فأصبحت الأنفس بها راضية مرضية فناداهم بارئ البرية **﴿فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾**.

وأسأله سبحانه أنْ يجعله فى ميزان الحسنات يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات. إنَّه قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

خادم القرآن والعلم
محمد محمود عبد الله
مدرس علوم القرآن بالأزهر

قبل البدء

وقبل أنْ نتكلم عن الأيام المباركة فى القران والسنة المطهرة. نتكلم أولاً عن أيام الله عز وجل فى قوله: ﴿**وذكرهم بأيام الله**﴾.

وأيام الله تعالى. سبعة غير أيام الأسبوع: وهى:ـ

١ ـ يوم العهد والميثاق المشار إليه بقول الحق عز شأنه: ﴿**وإذْ أخَذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**﴾

وهو اليوم الذى قبض الحق تعالى فيه قبضة بيده الشريفة من ظهر أبى الخليقة آدم عليه السلام، وخلق فيها ذريته جميعا، فكانث كل نسمة تشبه الذر، من لدنْ آدم وحتى يرث الله تعالى، الأرض ومن عليها، ثم قابلهم بأبيهم آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم وأشهد عليهم أباهم، وهذا اليوم هو يوم الفطرة، أى أنَّ الخليقة، جمعاء انفطرِت على توحيد الله عز وجل:

﴿**فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**﴾.

ويؤكد هذا المعنى : حديث الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ. قوله: «**كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه**».

إذن الأصل فى الخليقة أنها انفطرت على الإقرار بوحدانية الله عز وجل. على توحيد.

مفردات:

١ ـ يهودانه: أى يجعلاه يعتنق اليهودية

٢ ـ ينصرانه: أى يجعلاه يعتنق النصرانية.

٣ ـ يمجسانه: أى يجعلاه يعتنق المجوسية.

٤ ـ انفطرت: أى وُجِدَت وتكونت من العدم.

الخالق عز شأنه. أمَّا التغيرات فى اعتناق الديانات والملل فهى دخيلة على الفطرة من الأبوين.

ومن الثابت أنَّ يوم الشهادة لله تعالى بالوحدانية سابقٌ على يوم العهد والميثاق. وقد شارك فيه نوعية خاصة من الجنس البشرى ألا وهى نسمات أرواح العلماء. يوم أنْ كانت نسمة فى عالم الغيب. ومن الثابت أنَّ أول من شهد لله تعالى بالوحدانية. الله تعالى. نفسه. ثم الملائكة. ثم أرواح العلماء. دل على ذلك قوله الحق عز ثناؤه:

﴿شهد الله أنَّه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

ونتبين من النصوص القرآنية. أنَّ ميثاق الإقرار لله تعالى بالوحدانية ثلاثة أنواع:-

١ ـ ميثاق عام للذرية جمعاء يوم **﴿ألست بربكم﴾** كما أسلفنا.

٢ ـ ميثاق خاص: للنبيين عليهم السلام، يوم أنْ كانت أرواحهم نسمات في عالم الغيب. ميثاق مغاير لميثاق عامة البشر، يتناسب مع عصمة الأنبياء.

ووجوب الكمال البشرى والعفة لهم من خلاله. دل على ذلك قوله الحق عز شأنه: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾**.

٣ ـ ميثاق خاص الخواص: يوم الشهادة الكبرى لله تعالى بالوحدانية. وهو سابق على الاثنين عاليه: **﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾**.

٢ ـ يوم الإيجاد والتكوين المشار إليه بقوله تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان فى سلالة من طين﴾**.

فسلالة الطين هى أصل التكوين فى أبى الخليقة آدم عليه السلام. ومن الثابت أنَّ كل إنسان يحمل الخاصيتين:

١ ـ **خاصية الطين:** وهى بنية الهيكل الجسدى لآدم، ويشتمل على ٢٤٨ عظمة غير عقد أصابع اليدين والقدمين ،و٣٦٠ مفصلاً،و٣٦٠ عصباً. و٣٦٠ عرقاً يسمى بالأوصال، تكسوه طبقة من الجلد. صنعه محكمة ودقة متناهية.

صنعة الرب سبحانه وتسويته.

٢ ـ **خاصية الروح**: وهى نفخة الحق عز شأنه، في أبى الخليقة آدم عليه السلام، النفخة الكبرى التى لن تتكرر، وكلما تكون جنين فى بطن أمه سرت له نسمة جزئية من تلكم النسمة الأولى وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وصدق الحق إذ يقول: ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾.

ونسمة الروح هى سر الرب سبحانه التى لا يعلم حقيقتها إلا هو. ولا تزال السلالة هى الأصل فى التكوين. إذْ أن الحق تعالى يُلهم الأبوين أنْ يتناولا من النباتات والزروع والثمار مما تنبت الأرض ما قدر فيه سبحانه، نطاق تكوين الأنباء، ثم فى الأصلاب، ثم في الأرحام، وهى استمرارية العلاقة فى الانتقال من السلالة إلى النطفة﴿**ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**﴾.

٣ ـ يوم الحياة نفخة الروح بعد كمال الأطوار فى تخلق الجنين بعد ١٢٠ يوماً يكسو الحق تعالى، العظام لحماً ثم يأمر الملك أنْ ينفخ فيه نسمة الروح التى هى سر الحياة، التى تدخل المادة فتكسبها الحركة بعد السكون والحياة بعد الموت. تلك وظيفة الروح: أمَّا حقيقتها، فلا يعرفها إلا الله وحده عز شأنه: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾.

وهى جزئية من جملة الأمر الإلهى ﴿**قل الروح من أمر ربى**﴾ ومن هنا لأخذ جزء من مجموع، والأمر الإلهى للخالق عز شأنه: بنقسم إلى قسمين:

١ ـ أمر تكوين. **٢ ـ أمر إلزام.**

أمَّا أمر التكوين: فبه وجدت الكائنات، وقامت الأرض والسموات: وهو فيما علَّم الله تعالى: آدم عليه السلام قول شمل حرفين من حروف الهجاء العربية فى القرآن العظيم كلام رب العالمين، الذى نزل على الصادق الأمين محمد ﷺ: سيد الأولين والآخرين. قوله عز شأنه: ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كن فيكون**﴾ إذن الأمر ﴿**كن**﴾ يسَّر الحق سبحانه علينا نطقه وكتابته، أما حقيقته وكيفيته فى القول الإلهى والنفاذ لا يعرفهما إلا الله وحده عز شأنه، لأنَّ المسافة بين الكاف والنون لا يدركها إلا الحى القيوم، ومبلغ علمى أنه يتعلق بصفات

الذات العلية من مطلق كمال الربوبية لله عز وجل، بصفات، الإرادة والقدرة. والعلم، والحكمة، والقهر، والعزة، والهيمنة، والرحمة، والكلام، إذْ إنه قول يتعلق في النفاذ. والشمول بجميع أسماء الله الحسنى وصفاته عز وجل.

٢ ـ **وأمَّا أمر الإلزام:** فهو قهر الكائنات وإذعانها لأمره سبحانه، وحملها على نفاذ ما أراد وما يريد **﴿فعال لما يريد﴾**. مع إقرارها بوحدانيته، ممثلاً فى تسبيحها له: **﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإنْ من شىء إلا يسبح بحمده﴾**.

مع عرفانها بمطلق ربوبيته. ويقينها أنه الله الخالق المبدئ المعيد.

ومن جملة أمر الإلزام: قهر العباد على فعل ما أراد سبحانه، وقهرهم بالموت. وقهرهم بالإيجاد دون تخبير منهم أو إرادة لهم، وكذا قهرهم بالقضاء والقدرة وما شابه ذلك **﴿والله غالب على أمره﴾**.

٥ ـ يوم الممات المشار إليه بقول الحق عز شأنه: **﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾**.

ويوم الممات هو يوم انقطاع العمل، إذْ به تفارق الروح الجسد، تعود النسمة الربانية إلى خالقها. الجزء إلى الكل. السر إلى صاحب السر جل ذكره فى علياه. خاصية الرب إلى الرب سبحانه. وتسقط الجثة هامدة. خاصية الطين أصل السلالة فى بنية التكوين إلى الطين.

ويُخطئ من يظن أنَّ الموت نهاية، وإنما الموت بداية. فهو قضية انتقال من دار فناء إلي دار خلد وبقاء. وأخطر ما فيه انقطاع عمل العبد به. لقوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

٦ ـ يوم البرزخ المشار إليه بقول الحق تعالى: **﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾**.

والبرزخ: هو الحاجز الذى يحجب الأحياء عن الأموات ويفصل بين كل ضدَّين. ويكون فى القبر وغيره؛ لأنَّ القبر سنة الله تعالى، فى الجنس الآدمى

خاصة دون المخلوقات الأخرى دل على ذلك قول الحق عز ذكره: **﴿ثم أماته فأقبره﴾**.

ومما يؤكد أنَّ البرزخ هو الحاجز الذى يفصل بين شيئين ويمنح اختلاطهما ببعض قول الحق عز شأنه: **﴿مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان﴾**.

فالبرزخ: يحجز ماء البحرين أنّ يبغى أحدهما على الآخر. أو يختلط الماء العذب الفرات بالملح الأجاج، دليل على عظمة وقدرة الواحد الوهاب. مبدع الكائنات من العدم ومقدر المقادير بالأسباب.

ولا شك فى أنّ الحياة البرزخية ثابتة وحقيقة بالنص القرآنى الكريم رداً على من أدخل القبر فوجد من سوء عمله ما جعله يتحسر ويطلب إلى الله تعالى، أنْ يرجعه إلى الدنيا بعد موته ليعمل صالحا فكانت الإجابة ردعاً ورفضاً بـ**﴿كلا﴾** **﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾**.

ويؤكد حقيقة الحياة البرزخية قول الرسول ﷺ: «**القبر إما روضة من رياض الجنة. وإمّا حفرة من حفر النار**» ولا يتحسس الاثنين إلا الأحياء.

٧ - يوم البعث المشار إليه بقول الحق عز شأنه: **﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾**

ويوم البعث هو اليوم الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين؛ وسمى يوم البعث لأنَّ الله تعالى يبعث فيه الخلائق من القبور وغيرها مما ماتوا غرقاً أو حرقاً أو أكلته السباع والأسماك والطيور الجارحة فإنَّ الله تعالى يبعثهم جميعاً حيث كانوا دل على ذلك ما قصه القرآن العظيم عن حال قوم فرعون، قوله عز شأنه: **﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾** وقوله سبحانه: **﴿النار يعرضون عليها بكرة وعشياً ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾**.

فهنا دليل على بعث كل غريق وحريق وغيره ممن لم يقبروا، ويوم البعث هو يوم الفزع الأكبر والهول، وقد حذر الحق تعالى: من يستعظمون مجيئه وإمكانية وقوعه وبين سهولته عليه سبحانه بقوله، **﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس**

واحدة﴾.

فتكلفة الخلق جميعاً والبعث جميعاً لا يستغرق وقتاً ولا جهداً عند الله تعالى، إلا كما تأخذ النفس الواحدة في الخلق والبعث ألا تنظر، إنها عظمة وقدرة ما بعدها من قدرة. والله أعلا وأعلم.

*****

يوم الجمعة

خير يوم طلعت عليه الشمس. فيه خُلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة. وفيه تاب الله عليه. وفيه قبض. أى مات. وفيه تقوم الساعة، وفيه النفخة. وفيه الصعقة.

هدى الله تعالى إليه الأمة المحمدية. وجعله يوماً جامعاً لها يتجمعون فيه للعبادة، وأفضل أنواع العبادة وأسماها ذكرالله عز وجل، وكفى به فخراً أنْ ذكره الحق تعالى صراحة مقترناً بذكره في القرآن العظيم: ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله**﴾.

وزاده سبحانه رفعة فى الشأن والقدر بأنْ سمى سورة من سور القرآن العظيم باسمه سورة الجمعة، نسبة إلى أسمى حدث فيه وهو تجمع الأمة على ذكر الله عز شأنه حال سماعهم النداء إلى الصلاة. وهو يوم عيد للمؤمنين فى الأرض. وللملائكة فى السماء. فيه ساعة إجابة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله تعالى شيئا وهو قائم يصلى إلا أعطاها إياه.

وقد أرشد الرسول ﷺ: الأمة إلى اغتنامه بكثرة الصلاة عليه فيه بقوله: «**من أفضل أيامكم يوم القيامة. فيه خلق آدم. وفيه قبض. وفيه تقوم الساعة. فأكثروا فيه من الصلاة علي فإنّ صلاتكم تبلغنى**» فقالوا يارسول الله وكيف تبلغك صلاتنا وقد أرمت؟ أى بلى جسدك. قال: «**إنَّ الله تعالى حرَّم على الأرض أنْ تأكل أجساد الأنبياء**».

ونلاحظ أنَّ الحق تعالى. جعل الصلوات في جماعة اجتماعاً أصغر. وجعل يوم الجمعة اجتماعاً أوسط. ويوم عرفة اجتماعاً أكبر. ليتعارف المسلمون فيه وتقوى الروابط بينهم. فيرحم القوى الضعيف. ويطعم الغنى الفقير. فتتم الألفة

والمحبة فى المجتمع الإسلامى. فتقوى شوكة الأمة ويهابها الأعداء.

ويكره صوم الجمعة؛ لأنه يوم عيد، إلا أنْ يوافق عادة بأنْ يُصام قبله وبعده.

وقد نهى رسول الله ﷺ: عن صومه بقوله: **«لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أنْ يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده»**.

*****

آداب يوم الجمعة

١ ـ يجب على كل مسلم الحرصُ على الطهارة فيه، من اغتسال وتطيب وتزين: لقول الحق عز شأنه: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾.

ويستحب نتف الإبط: وحلق العانة. وقص الأظافر: وحف الشارب: وإزالة زوائد الشعر فى الرأس واللحية، وأعنى بالطهارة: طهارة الظاهر والباطن، فطهارة الظاهرة تعنى طهارة الثوب والبدن، وطهارة الباطن: تعنى طهارة القلب من الشرك والرياء، وظلمات الأغيار، وأداء العبادة خالصة لوجه الله الكريم: لا يبتغى بها سمعه ولا رياء لقوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾.

كما يجب الاهتمام بحسن الثوب، والأفضل الثياب البيض، فالثوب الأبيض هو أجل وأجمل وفي هذا قال الحبيب المصطفى ﷺ: **«ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته»**.

٢ ـ الذهاب مبكراً إلى المسجد، فإنَّ يوم الجمعة جدير بتفرغ المؤمن له من شؤون الحياة الدنيا، ولهوها وزخارفها لقول رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها إلى الأسواق، فيرمون الناس بالترابيث، ويثبطونهم عن يوم الجمعة، وتغدو الملائكة فتجلس على أبواب المساجد، فيكتبون الرجل من ساعة. والرجل من ساعتين، حتى يخرج الإمام»**.

فما بالك بيوم أمر الحق تعالى فيه بالسعى إلى ذكره وترك البيع والشراء، وبيَّن سبحانه أنَّ الخير كل الخير فيه للمؤمن إنْ كان من ذوى العلم والتمييز بعين البصيرة ويقين المعرفة بين العمل للدنيا وهو البيع والشراء، والعمل للآخرة وهو السعى لذكر الله عز وجل بتأدية الصلاة وترك البيع فى قول الحق عز شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

وفيه الإشارة إلى ترك كل نفيسٍ وغال فلا أغلى ولا أعلى من ذكر الله عز

وجل.

٣ - الامتناع عن الكلام فى المسجد؛ لأنَّ الكلام فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

لما جاء في الهدى النبوىّ الشريف «**الكلام فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**». وأيضاً الامتناع عن اللغو أثناء الخطبة، فإنَّ الكلام والخطيب يخطب لغو لقوله ﷺ «**إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب أنصت، فقد لغوت، ومن لغا فلا صلاة له**».

ويقول الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه: خروج الإمام يمنع الصلاة. وخطبته تمنع الكلام. - خروج الإمام: أى صعوده على المنبر - .

٤ - مراعاة حرمة المسجد وقدسيته، فلا تباغض؛ ولا عداوة، لأنَّ المساجد نسبت لله عز وجل في قوله سبحانه: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾.

وما نسب لله عز شأنه، لا عداوة فيه ولا بغضاء...

وقد أمر أيضاً باستقامة الوجه إليه سبحانه عند كل مسجد فقال: ﴿**وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد**﴾.

كما بيَّن سبحانه أنَّ أفظع أنواع الظلم هو من يمنع مساجد الله أنْ يذكر فيه اسمه ويسعى فى خرابها، فقال سبحانه: ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أنْ يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أنْ يدخلوها إلا خائفين**﴾.

إنها بيوت الله عز ذكره، جعلت فى الأرض لذكره وشكره وعبادته. ومما يسعد به المؤمن أنَّه ما بنى مسجد فى الأرض ولا أقيم صرحه ولا تحدد مكانه في بقاع الأرض إلا بعد أنْ توفر إذن من الله تعالى ببنائه ومكانه. دل علي ذلك قول الحق عز شأنه: ﴿**فى بيوت أذن الله أنْ ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال**﴾.

وفى الحديث القدسى: « **بيوتى فى الأرض المساجد، وزوارها عمارها، فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى، فحق على المزور أنْ يكرم زائره**».

نتبين من هذا الحديث القدسى: أنَّ المصلين هم ضيوف الرحمن فى بيوته فى الأرض المساجد. وما بالك أيها المؤمن بمن كان فى ضيافة أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

٥ ـ وجوب الإنصات إلى القرآن الكريم والاستماع إليه بخشوع وسكينة وتدبر لمعانيه السامية والتفريق فى المعنى بين آيات الرحمة وآيات العذاب، وآيات الوعد والوعيد والزجر والأمر والنهى وإمعان النظر بعميق الفهم والفكر فى كل منها، مع العلم بأنَّ الإنصات وحسن الاستماع للقرآن حال تلاوة هما من موجبات رحمة الله تعالى، بالسامع والقارئ على السواء، مقرونة بفعل الرجاء فى قوله الحق سبحانه **﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾**.

ولسنا بأقل من الجن الذين خشعت قلوبهم وصغت آذانهم للقرآن حال تلاوة النبى ﷺ، له على صحابته، فيما حكاه القرآن وسجله عن الجن قول الحق عز شأنه: **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولو إلى قومهم منذرين﴾**.

وانظر إلى مدى تأثر الجن بالقرآن وتأثيره فى قلوبهم وعلى عقيدتهم وسلوكهم وكيف حملوا الدعوة بعد سماعه إلى أقوامهم فى قول الحق سبحانه **﴿قالوا يا قومنا إنَّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله﴾**.

مما سجله القرآن العظيم على لسان الجن بعد سماعهم إليه نتبَّين أنَّ سماع القرآن بتدبير وإمعان فى الفهم هو هداية إلى الحق وإلى صراط الله المستقيم.

٦ ـ يجب اجتناب الروائح الكريهة التى تؤذى المصلين كأكل الثوم والبصل والكراث وما شابه ذلك لقول رسول الله ﷺ: «**من أكل ثوماً أو بصلا فلا يقرب مصلانا**».

وفى رواية «**من أكل الثوم أو البصل أو الكراث، فليعزل مسجدنا، فإنَّ الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**».

٧ ـ يجب عدم تخطى الرقاب، والأفضل أنْ يجلس الإنسان حيث انتهى به

المجلس، فإنّ الإسلام، دين نظام ومساواة، وقد حذر الرسول الكريم ﷺ: من تخطى الرقاب بقوله: **«هو كالجار قصبه فى النار»**، أى كالجار أمعائه فى النار. وانظر بشاعة التشبيه ونحن عبثا نتخطى الرقاب دون أدنى حرُمة أو توقير.

*****

آيات الجمعة

من الثابت أنَّ يوم الجمعة هو اليوم الوحيد الذى اقترن بالخير دون سائر الأيام، وعلى العكس من يوم السبت على سبيل المثال الذى اقترن باللعنة على اليهود الذين خانوا الله تعالى فيه: **﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾** .

أمَّا فى يوم الجمعة قال الحق تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** .

ونحن اليوم فى عصر يمتلئ بمجالس اللهو والغى، فإنّ كثيراً من أهل اللهو يعبثون بالنداء ويضربون به عرض آذانهم**﴿صمٌ بكم عميٌ فهم لا يرجعون﴾**، دون تدقيق فى عظمة المنادى الله عز وجل: وقول الرسول ﷺ: **«إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار: فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»**.

*****

من مناسبات يوم الجمعة

١ ـ فيه انتصر النبىﷺ [فى بدر] ودخل مكة يوم الفتح.

٢ ـ فيه دخل النبىﷺ المدينة وكانت أول خطبة ألقاها: « **أيها الناس قدموا لأنفسكم. تعلمن والله ليصعقف أحدكم. وليدعن غنمه ليس لها راع. وليقبلن على ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه، فيسأله ماذا قدمت. فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً. ولينظرن قُدَّامه. فلا يرى غير جهنم** ».

« **فمن استطاع أنْ يقى وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل. فإنَّ بها الحسنة تجرى إلى عشر أمثالها. إلى سبعمائة ضعف** ».

٣ ـ فيه تسلم الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه مدينة القدس.

٤ ـ فى يوم الجمعة انتصر البطل طارق بن زياد فى معركة [شريس] ودخل الإسلام.

٥ ـ فيه انتصر أيضا البطل صلاح الدين الأيوبى [فى معركة حطين] وحرر بيت المقدس من قبضة الصليبيين.

٦ ـ فى يوم الجمعة انتصر البطلان [قطز والظاهر بيبرس] فى معركة عين جالوت على التتار، ووقى الله تعالى البشرية شراً مستطيراً.

وفضائل يوم الجمعة أكثر من أنْ تحصى وكفى به فخراً تخليد ذكره فى القرآن العظيم...

*****

يوم مولد النبى ﷺ

جاء والدنيا متطلعة إليه، متشوقة لنوره. والغرابة أنْ كانت قد وقعت أحداث (تهدم إيوان كسرى ـ فاضت بحيرة ساوه ـ انطفأت نار المجوس).

لقد تعاطفت الكون كله معه. فهو المبعوث رحمة للعالمين.

ومن الثابت أنَّ الحق تعالى، يشير فى محكم آياته إلى تعاطف الكون مع المؤمنين، وعدم اهتمام الكون بالكافرين فى مثل قوله عز ثناؤه: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**﴾.

فثبت بالنص القرآنى الكريم أنَّ الكون يتعاطف مع أحباب الله عز وجل، وقد يكون التعاطف فى حال الحزن بالبكاء. وقد يكون بإشراقة النور والصفو فى حال الفرح فى مثل قوله تعالى: ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها** ﴾.

فمولد الحبيب محمد ﷺ: جاء والأرض كانت تموج فى ظلمات الجهل والطغيان والفساد يحكمها قانون الغابة، أى البقاء للأقوى. إذْ لا قانون ولا منهج ولادستور ينظم العلاقات والحقوق والواجبات ونظام منهجية المعاملات. تنتهك الحرمات: ولا يعيرون أدنى قيمة للإنسانية وقدسية حرمة الإنسان الذى كرَّمه الحق تعالى : على سائر المخلوقات فى قوله عز شأنه: ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾.

وقد وصف الحق تعالى، الأرض قبل ميلاد الرعول الأعظم سيدنا محمد ﷺ: بالفساد فقال سبحانه: ﴿ **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس**﴾.

عُبد غير الله عز وجل: وطغت الفرس والروم.

وكانت النبوة قد انقطعت عن الأرض بعد عيسى عليه السلام.

وقد دل على فراغ الأرض من إشراقة أنوار النبوة بعد عيسى عليه السلام. قول رسول الله الخاتم محمد ﷺ.

« أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنَّه رسول، وأنا رسول، وليس بينى وبينه نبى» .

كما أكد هذا المعنى قول الحق عز شأنه: **﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أنْ تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾** .

والبشير والنذير هو سيدنا محمد ﷺ الذى أرسله ربه سبحانه للعالمين كافة. فإنَّ كل رسول قبله كان يُرسلُ إلى قومه خاصة، أمَّا هو فأُرسل للناس كافة. فى قول الحق عز ذكره: **﴿وأرسلناك للناس كافة﴾** .

وقد جاء ﷺ من أطهر العرب نسبا وأشرفهم حسبا وأرفعهم قدراً حيث بيَّن ذلك بقوله ﷺ **« إنَّ الله تعالى، اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى مناتة، واصطفى من بنى كنانة قريشاً. واصطفى من قريش بنى هاشم. فأنا خيار من خيار من خيار»** .

ولا شك فى أنَّ سيدنا محمد رسول الله ﷺ. هو معجزة إذا تفرقت السبل. وضُلَّت الطرق. وأُبهمت الأمور، وشتت الآراء، فحياته ﷺ، قبل البعثة كحياته بعد البعثة نبراس يُحتذى به، مزيج من الصبر والكفاح، عظة وعبرة، هداية وفطنة، مُثلٌ عُليا وقدوة، لمن أراد الطريق القويم.

فإنَّ الحق تعالى، اصطفاه، ورفع قدره بالنبوة والرسالة وفضَّله على العالمين. والنبوة لا تمنحُ بالكسب وإنَّما هبة اقتضت حكمة الله تعالى وعلمه أنْ تُمنح لمن أعده الله تعالى لها فى عالم الغيب إعداداً يكون معه مستعداً لتلقى الفيض الربانى، فليست محض صدفة، وإنَّما حكمة بالغة. ودقة متناهية. لقوله تعالى: **﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾**.

ولا شك فى أنَّ سيدنا محمد ﷺ. أُعِدَ لأن يحمل الرسالة للخلق أجمع. أبيضه وأسوده، إنسه وجنه.

فمن الثابت أنَّ رسالة الإسلام المنزل على رسول السلام سيدنا محمد ﷺ. تجاوزت الإنس إلى الجن فى قول الحق سبحانه: **﴿ وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجن**

يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنَّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم، يا قومنا أجيبوا داعى الله ﴾.

فقد أعده الحق تعالى: إعداداً ربانياً لأنْ يحمل رسالة أكمل دين، ولأنْ يختم به الأنبياء والمرسلين.

ولأن يكون شمس الهداية، ونور الظلام إعداداً معينة **﴿فإنَّك بأعيننا ﴾**.

ومداده « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** ».

فإنَّها عناية السماء، وأدب الربوبية للأصفياء، وقد اشتمل الإعداد الإلهى لرسول الإنسانية جمعاء على جانبين: -

١ - جانب الطور البشرى [الجسدى].

٢ - جانب الطور الروحى الفطرى الغيبى فى شخص الرسول الكريم ﷺ. المعد لتلقى الوحى.

أمَّا عن جانب البشرى فقد اختارته عناية السماء من صفوة البشر عنصراً وسلالة، وأشرفهم نسباً وحسباً، وأرفعهم قدرا، فهذا جده عبد المطلب كان سمح الطبع، رضى النفس، سخى اليد.

حُلو العشرة. عذبُ الحديث. قوى الإيمان إذْ تملَّكَ قلبه وسيطر على نفسه نزعة دينية جادة عنيفة، يحسها ويخضع لها، لكنه لا يتبينها ولا يستطيع لها فهماً ولا تفسيراً.

كان عبد المطلب فتى من فتيان قريش فيه ذكاؤهم وفطنتهم، وفيه إباؤهم وعزتهم، ولكن فيه دعة لم تكن مألوفة عندهم. وفيه شدة من الدين، قلَّما كانوا يرضونها أو يبتسمون لها.

كان يجمع بين اللين والجد، والقوة والغضب للحق والسماحة والسخاء، وعذوبة المنطق وكريم اليد فى العطاء ، سريع البديهة جميل العشرة أفعاله تصدر عن حسن روية فى التفكير والتدبير.

أمَّا والده عبد الله، فقد كان صورة طبق الأصل من جده عبد المطلب. وكان شعاره.

أما الحرام: فالممات دونه، إذْ قالت له فاطمة الخثعمية [إنِّى لأعرف فيك نسك أبيك].

قبيلته قريش. أسرته بنو هاشم . جده عبد المطلب سيد قريش إذ ذاك. أبوه عبد الله فكان محمدا، اختاره الله تعالى للرسالة الخاتمة. ومن قبل اصطنعه لنفسه قبل أنْ يمنحه النبوة.

أجل: لقد كانت الفترة الأولى من حياته والتى سبقت البعثة. فترة جهاد وصراع روحى هادئ فى التذوق والتأمل. عنيف أشد العنف فى نفوره من الأصنام وعبَّادُها.

كان صلوات الله وسلامه عليه. يتوج كل عام من جهاده الروحى بشهر يقضيه فى غار حراء حيث الخلوة التامة، وحيث التجرد المطلق عن كل ما سوى الله عز وجل، وهناك فى سجوة الليل، أو فى رائعة النهار، يحاول محمد ﷺ. أنْ يُحطم الحُجب، أو يخترق الستور، وأنْ ينفذ ببصيرته إلى عالم الغيب.

فيصل إلى سدرة المنتهى. وإلى قاب قوسين أو أدنى. حتى يشاهد الجمال فى سنائه.

والجلال فى عظمته وكبريائه، وتمضى السنون سريعة بطيئة فى آنٍ واحدٍ. وجهاده ﷺ لا يفتر حتى أصبح أو كاد روحاً خالصة أو قبساً من نورِ الله عز وجل. وانتهى به الأمر إلى مقام القرب حين أقبل على جبل حراء، حيث تبتل حين كان يخلو بربه ويتعبد . حتى قالت العرب. إنَّ محمداً عشق ربه وترك كل ما سواه.

ثم كانت الرسالة الخاتمة. وكانت المعجزة التى غيرت مجرى التاريخ، حيث كانت البشرية ترتع فى ظلام الجهالة، إذ كانوا يعبدون ما يصنعون بأيديهم من أصنام وغيرها فى غيبة من العقل الذى كرم الله تعالى به الإنسان على سائر مخلوقاته.

فكانت أول إشراقتها ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ .

كانت اقرأ: مفتاح عهد جديد فى حياة رسول الله ﷺ بل فى حياة الإنسانية جمعاء فمنذ نزلت لم يترك الرسول ﷺ الدعوة إلى الله تعالى سراً وجهاراً. ليلاً ونهارا، فى كل لحظة من لحظاته يقول« **أيها الناس قولوا:لا إله إلا الله تفلحوا**» روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد ـ وكان جاهلياً أسلم ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ يصر عينى بسوق ذى مجاز يقول: « **أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» .

*****

الإســـــراء والمعـــــراج

هى ليلة المنح الإلهية والفويضات الربانية لرسول الإنسانية جمعاء سيدنا

محمد ﷺ. بعد آلام دامت نحو عشر سنوات، قضاها فى كفاح الدعوة المرير، دليل على أنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب. وأنّ مع العسر يسرًا.

ورحلة الإسراء والمعراج قد تحددت بدايتها ونهايتها وأهدافها، ومن أهم أهدافها ما قرره التنزيل قول الحق عز شأنه: **﴿لنريه من آياتنا إنَّه هو السميع البصير﴾**.

ولا غرابة فى أنّ الحديث عن الإسراء والمعراج يستشعر منه المؤمن الدلالة على قدرة خالق الأرض والسماء جل وعلا: أنَّه إذا أراد شيئاً أنْ يقول كن فيكون، فأمره سبحانه ينحصر بين حرفين، هما الكاف والنون **﴿كن﴾** ومهما تطورت الأمم فى نمو رُقيها. وتطورت ابتكارات اختراعاتها، وتقدمت تكنولوجيتها فى ازدهار علومها. فإنَّها لا تستطيع أنْ تحصر المسافة بين الكاف والنون؛ لأنَّها من خزائن السر المكنون الذى لا يدرك منتهاه إلا الحى القيوم ولأنَّ محتوى اختراعات العلوم وتطور تكنولوجيتها هى من اختراع عقل البشر. الذى خلقه وأوجده رب القدر سبحانه.

ولا مقارنة بين صنعة البشر وبين صنعة من صنع البشر وخلق كل شىء فقدره تقديراً الله لا إله إلا هو الذى وسع كل شىء علما، وأحصى كل شىء عدداً أو لم يتخذ صاحبة ولا شريكا ولا ولداً. . . .

وفى عام سمى عام الحزن للنبى ﷺ. بوفاة عمه أبى طالب الذى آواه ونصره ولم يسلمه للأعداء، وكذا وفاة زوجة الكريمة السيدة خديجة بنت خويلد. التى لما سئل عنها ﷺ. قال: **«لقد صدقتنى يوم كذبنى الناس، وآمنت بى يوم كفروا»**.

ومع ما ألم بالنبى ﷺ من ألم وحزن. . تتجلى إرادة الحق عز ثناؤه، أن

يسرى عن قلب حبيبه ﷺ، برحلة اهتزت لها أرجاء قريش، بل والعالم بأسره، فالحدث جلل، والرحلة أكبر من أن يدركها عقل البشر، إلا من اطمئن قلبه بنور الإيمان، فهو نور الله يقذفه فى قلب من ارتضاه. هذا النوع من الناس يعلم حق اليقين أن الله تعالى قادر ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

وفى ليلة السابع والعشرين من رجب المحرم، يأتى الأمين جبريل عليه السلام، بدعوة العلى الكبير من الملأ الأعلى، ويوقظ محمداً ﷺ قائلا له: قم يا محمد، فإنك ضيف السماء، ستلقى ربك على بساط الحضرة الإلهية، وتناجى الذات العلية، إنك فى هذه الليلة ستصعد إلى السماء، وقد حدد التنزيل بداية الرحلة، بقوله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقصى﴾.

وفى لفظ: ﴿سبحان﴾ التعجب لعظمة الخالق عز وجل، وتمجيده.

أى: ما أعظم الذى أسرى بعبده، وسبب نزول هذه الآية، أن النبى ﷺ، لما قص رحلة الإسراء على قريش، كذبوه، فأنزل الله تعالى، القرآن تثبيتاً لرسول الله ﷺ، وذكر البرهان النسفى، لما وصل النبى ﷺ، إلى الدرجات العلا والمراتب الرفيعة، أوحى الله تعالى إليه: يا محمد. بما تريد أن أشرفك، فقال: بأن تنسبنى بالعبودية إلى ربى، أننى فى المقام الأول، عبد للرحمن، ومن هنا نعلم أن درجة العبودية سابقة على درجة النبوة، ومرتبة النبوة سابقة على مرتبة الرسالة.

وأسرى وسرى: بمعنى السير ليلا فى جزء من الليل، و قال: بعبده، ولم يقل بنبيه، رداً على من قالوا أسرى بمحمد روحاً، لا جسداً. . . لا: رؤيا منام. . . إلى آخر ما تخبطوا فيه من شركهم، رده الحق تعالى عليهم ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾. فلا يوجد عبد روح من غير جسد. ، ولا جسد بدون روح، فثبت أن الرحلة بالروح والجسد معاً.

هذه هى الرحلة الأولى، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: الإسراء.

أما الرحلة الثانية: فهى رحلة المعراج فى نفس الليلة أكدها الحق سبحانه، وحددها بالآيات من رقم ١ إلى رقم ١٨ سورة النجم.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ إلى قوله تعالى﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

ورحلة الإسراء تحددت بدايتها ونهايتها. والهدف منها فى قوله عز ثناؤه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

الرحلة الأولى فى الآية رحلة أرضية فى مقدور البشر، ولم تعترض قريش على قطع الرحلة، وإنما اعترضت على الزمن.

والربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ربط بين عقائد التوحيد منذ إبراهيم عليه السلام حتى محمد ﷺ، والتقاء النبى ﷺ بالأنبياء، لكى تتم البيعة الجماعية، وليتسلم اللواء، بوصفه الرسول الخاتم، والمدافع عن التراث الروحى: ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً** ﴾.

وفى المناظرة بين ما رآه الخليل إبراهيم عليه السلام، و﴿**وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض**﴾. وبين: ﴿**لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾.

قد يتوهم قارئ أو سامع : أن الملكوت أكبر من الآيات، إنما الآيات أكبر، والملكوت جزء مما رآه محمد ﷺ.

ولما سئل ﷺ: كيف رأيت ربك؟ قال: «**نوراً أنى أراه**». وكيف نستكثر على النبى ﷺ ربه، والله تعالى يقول عن أهل الجنة ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾.

فقد جعل الحق سبحانه، الخلة لإبراهيم والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ. . الرؤية المجردة من غير كيف ولا تجسيم.

وفى ليلة المنحة الإلهية لسيد الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ. قد أتت بعد رحلة دامت نحو عشر سنوات، قضاها فى الدعوة والكفاح المرير، تأتى الرحلة دليل، أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

فلقد رأى النبى ﷺ فى رحلة عدة مشاهد منها. مشاهد عقائدية. خاصة

البعث، ومشاهد عبادية. وخاصة الصلاة. ومشاهد مالية، وخاصة الربا، ومشاهد أدبية وخاصة ما يتعلق باللسان والزنا.

كان الهدف منها تطهير المجتمع الإسلامى من كل رجس، فلا زنا، ولا ربا، ولا خنا، ولا يضيع الضعيف.

فكان الغرض منها، غرض مستقبل الأمة، وكانت هذه المشاهدة، مقدمة للتشريع، فجمع الله تعالى بين النص والمشاهدة.

ولعل أروع ما فى الرحلة، فرض الصلاة من فوق السموات السبع.

ومن أروع ما عاد به النبى ﷺ. من الرحلة. قال محمد لربه: حمداً لك ربى على جزيل العطاء، وشكراً يليق بجليل النعم، أى ربى، أريد هدية أرجع بها إلى أمتى، قال الله تعالى: **«هديتك يا محمد، أننى مع أمتك فى حياتهم، ومعهم فى مماتهم، ومعهم فى قبورهم، ولولا أن الحبيب يحب معاتبة الحبيب لما حاسبتهم، ولما أعذبهم، وأنت فيهم الشفيع، وأنا بهم الرحيم»**.

الحديث: عن النبى ﷺ. قال: **«رأيت الخليل إبراهيم ليلة أسرى بى، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وغراسها سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله»**.

*****

ليلـــة الهجـــرة

كانت الهجرة بمثابة ثورة على الفساد والطغيان: فى الأخلاق ،والضلال. والعقائد. والجور فى الحكم.

وكانت انتقالاً بالنضال من موقع لآخر، ولم تك قراراً من الجهاد، ولم تك هجرة رسول الله ﷺ، هى أول هجرة فى التاريخ، وإنَّما سبقتها هجرات إبراهيم وموسى وعيسى السلام، وهاجر المسلمون مرتين إلى الحبشة، والهجرة حركة فى حياة الكائنات، فلو نظرنا إلى حركة أطوار الإنسان فى نمو تطورها، نجد أنَّها أنتقال من طور إلى طور إلى أنْ يصير بشراً سوياً. والأسماك والطيور تقطع أميالاً بعيدة للتزاوج، بل والأجرام العظام فنجد : **﴿والشمس تجرى لمستقرها﴾**.

﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عادة كالعرجون القديم﴾.

﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾.

والهجرة التى نتحدث عنها كانت وسيلة تحققت بها غاية ، فهى فرار إلى الله تعالى بدين الله القويم، بعد أنْ ضاق بالنبى ﷺ، وصحبه زرعاً وضاقت بهم مكة على الرغم من اتساع شعابها ،وجنباتها، فلم يستطع المسلمون فيها تحقيق الغاية المنشودة لهم وهى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له.

وهم قلة فى العدد والعُدَّة، يأذن الحق تعالى لرسوله فى الهجرة، ولا عجب فإنَّها درب الأنبياء ونسك الأتقياء، فنلاحظ حينما تحبس الحريات وتنتهك الحرمات نجد الخليل إبراهيم عليه السلام، مع شدة أذى النمروذ ورفض قومه لتوحيد الله عز شأنه: يقرر الذهاب بعيداً عن الجاحدين**﴿وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين﴾**.

وكذلك الحال مع لوط عليه السلام **﴿ إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم﴾**.

ولقد نعى الحق تعالى، حال قوم تخلفوا عن الهجرة واستضعفوا فى الأرض

فقال سبحانه: ﴿ **إنَّ الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** ﴾.

ولقد جرت العادة أن يتحدث القرآن عن الأحداث إما حلاًّلها وفصلاً فيما يختلف فيه. وإمَّا عقب الحدث مباشرة بياناً وتفصيلاً. إلا فى حادث الهجرة فإنَّ الحق تعالى، لم يتحدث عنها إلا بعد وقوعها بتسعة أعوام نزلت آية الغار بعد غزوة تبوك التى تخلف عن القتال فيها ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ والذين نزل فيهم قرآن فى الحال قول الحق عز ثناؤه.

ولو تساءلنا لماذا الهجرة كانت إلى المدينة؟...

نجد الأسباب الآتية: ـ

١ ـ لقد ضاقت مكة بالنبى ﷺ، فخرج إلى الطائف ولكن القلوب فى الطائف كانت أقسى مما فى مكة.

فكان لابد من الخروج إلى البلد الثالث [يثرب]؛ لأنه ما كان ليخرج عن جزيرة العرب لأنَّه عربى، والقاعدة الإلهية مع الأنبياء والرسل: ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيِّن لهم** ﴾.

٢ ـ لم تكن للأنصار مكاسب يريدون تحقيقها من وراء تمسكهم بعبادة الأصنام كما هو الحال فى مكة.

٣ ـ كان أهل المدينة يسمعون من أحبار اليهود ورهبانهم عن قرب ظهور نبى. وكان اليهود يهددونهم أنَّ هذا النبى سيقودهم إلى القضاء على العرب، فلما ظهر النبى ﷺ. قالوا لا يسبقنكم إليه يهودى.

٤ ـ شدة العداوة بين الأوس والخزرج وفى يوم بعاث وقعت مذبحة مروعة فى القبلى من القبيلتين. فرأى العقلاء منهم أنْ يختاروا ملكاً ينزلون على حكمه. فاختاروا عبد الله بن أبى بن سلول من الخزرج ملكاً عليهم، ودعوا القبائل للاحتفال به وصنعوا له تاجاً.

ثم ظهر النبى محمد ﷺ، فأقبلوا عليه وتركوا ابن أبى بن سلول، مما جعله

يحقد على النبى ﷺ. ويكوّن ضده حزب النفاق بعد ذلك.

٥ ـ كان اليهود يتحكمون فى كل شىء فى المدينة سيطرة تامة على الأرض الزراعية، على الآبار على الأسواق، على المال، على الماء، على السلاح، وكان الأنصار يتمنون يوماً أنْ يقضوا عليهم لينعموا بهذا الخير الوفير، فظهر النبى ﷺ. فاتخذوا قائدا، وفعلاً حقق الله تعالى على يديه ما تمنوا، وتحققت آمالهم، وقضى على اليهود. وأورثهم الله تعالى، أرضهم وديارهم وأموالهم.

٦ ـ كان أخوال النبى ﷺ، فى المدينة فلم يكن غريباً عنها، وكان قد زارها صغيراً مع أمه، ومات أبوه بها، وماتت أمه بالأبواء قريباً منها، ودفنت هناك، وكان يتذكر ملاعب الصبا، ويقول ﷺ، **«تعلمت العوم فى بئر عدى بن النجار»**.

*****

بيعة الأنصار

لَمَّا عرض النبى ﷺ نفسه على القبائل فى موسم الحج، التقى بلفيف من الأنصار. فأسلموا وبايعوه على ما أراد، عندما قال: « **بايعونى على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أنْ تقوموا فى الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أنْ تنصرونى إذا قدمت عليكم، وتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم وأبناءكم ولكم الجنة**».

هذا ما جاء فى بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ، وعاهدوا الله عليه: ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾.

*****

التخطيط لهجرة الصحابة

لم يكتف النبى ﷺ بالبيعة وإنَّما أرسل مع الأنصار مصعب بن عمير، يعلمهم الإسلام، ويقرئهم القرآن، ثم ينقل تقريراً مفصلاً من الأخبار عن أحوال المدينة. ونجح مصعب فى ذلك، ولم يمض عام حتى دخل الإسلام كل بيت وتهيأت المدينة لاستقبال المسلمين. . . .

وعندئذ. قال النبى ﷺ لأصحابه: «**إنَّ الله تعالى جعل لكم إخواناً وداراً فاخرجوا على بركة الله**» وفى ليلة خرج الأغلبية والكثرة ولم يبق في المدينة إلا العبيد والضعفاء ومن حبسهم أهلوهم، ومن أبقاهم النبى ﷺ، معه كأبى بكر وعلى الذى نام فى فراشه، وخرج الجميع ليلاً إلا عمر الفاروق فإنَّه بقى للصباح فحمل سيفه وسهامه، وصلَّى بجوار الكعبة، ومرَّ على الملأ وقال شاهت الوجوه، من أراد أنْ تثكله أمه، أو من أراد أنْ ييتم أبناءه أو من أراد أن ترمل زوجته. فليلقنى وراء هذا الجبل، ثم خرج فلم يتبعه أحد.

قال فيه عبد الله بن مسعود : كان إسلامه فتحاً وكانت هجرته نصرا، وكانت إمارته رحمة وعدلاً.

*****

التخطيط لهجرة النبى ﷺ

١ ـ اختيار الرفيق قبل الطريق، ومن يكون أفضل من أبى بكر الصديق، رفيق ونعم الرفيق. الصاحب الوفى والمؤمن القوى.

٢ ـ اختيار على بن أبى طالب لينام في فراشه مكانه وهو قريب الشبه بالرسول ﷺ. وابن البيت النبوى والشجاع الذى لا يهاب، ثم عليه مهمة رد الأمانات لأهلها. والتى كانت بحوذة الصادق الأمين ﷺ.

٣ ـ اختيار غار ثور. جنوب مكة. أنَّه يريد شمال المدينة، حتى يُحَيِّر قريشاً فى البحث عنه.

٤ ـ ضرورة الطعام والشراب في الرحلة، وتقوم بهذه المهمة، أسماء بنت أبى بكر التى دعا لها النبى ﷺ وأسماها ذات النطاقين. كما أنَّه لابد من معرفة آخر أخبار العدو، وما يدور فى مكة، ويقوم بهذه المهمة والاتصال بالنبى ﷺ، عبدالله ابن أبى بكر ،يكشف الأخبار ويرصد تحركات العدو.

٥ ـ أقدام أسماء وعبد الله ستظهر علي الرمل وسيقوم قاص الآثر من الأعداء بتتبعهما بداية ونهاية.

فكان لابد من التمويه، وتسند هذه المهمة إلى عامر بن فهيرة، الذى كان يقوم بمحو الآثار، إذْ كان يرابط بقطيع من الأغنام، كلما انتهت أسماء وعبد الله من مهمتهما تحرك بأغنامه فيمحو الآثار ثم يسقى للنبى لبناً.

٦ ـ ما بعد الغار، لابد من الخروج ، ولابد من طريق غير معروفة، ولذا اختار أبو بكر الصديق لهذه المهمة، عبد الله بن أريقط على الرغم من أنَّه مشرك لينتظر بناقتين في مكان محدد، وهنا إشارة إلى أنَّه لا شبهة فى مشرك يقوم بذلك، ولا مانع أنْ يستعين المسلمون بغيرهم فى تحقيق بعض أهدافهم.

٧ ـ نلاحظ حصر مهمة الهجرة فى بيتين اثنين هما بيت النبوة، وبيت أبى بكر مبالغة في دقة السرية إعمالاً بقول الرسول ﷺ: **«استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»**.

وخرج النبى ﷺ. رغم إحكام الحصار على بابه، ولا شك في أنّ الكفار وصلوا إلى باب الغار الذى كان فيه وصحبه. وبسرعة تفوق خُطى الكفار، أمر الحق تعالى العنكبوت فنسجت على باب الغار خيوطها، كما أمر الحمام أنْ يبيض والشجر أنْ ينبُت، فتحير الكفار وعموا: ﴿**وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا**﴾.

ولَّما وقع الخوف فى قلب أبى بكر الصديق رضى الله عنه. قال: يارسول الله. لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.

فأجابه ﷺ. «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**».... ﴿**لا تحزن إنَّ الله معنا**﴾.

ونلاحظ من طيب السياق أنَّ النبى محمد كان خيراً من موسى عليه السلام. عندما قال لبنى إسرائيل عندما قالوا: ﴿ **إنَّا لمدركون**﴾ أجابهم ﴿**كلا إنَّ معى ربى سيهدين**﴾.

فقدم المعية على الرب. وتحدث عن نفسه بصيغة المفرد وأضاف الهداية. أمَّا النبى محمد ﷺ. في قوله سبق الله المعية. وتحدث بصيغة الجمع في المعية (معنا) ولم يقل معى. ولذا أمر الحق تعالى موسى أنْ يعمل ﴿ **اضرب بعصاك البحر**﴾.

أمَّا محمد ﷺ فقد أيده ونصره وأعطاه كل شىء دون أنْ يعمل. وقد ذكر أبوبكر في آية الغار خمس مرات.

واستحق الصديُق قولة الفاروق عمر: [تمنيت أنْ أبيع عمرى وجهادى بليلة من ليالى أبي بكر ويوم من أيامه].

أمَّا الليلة: فليلة الهجرة.

وأمَّا اليوم، فيوم مات النبى ﷺ، فقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه، قولته المشهورة: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإنَّ محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله .فإنَّ الله تعالى حىٌ لا يموت، وكفى الصدِّيق فخراً أنْ خلد الحق تعالى ذكراه فى القرآن العظيم، ولا طالما تردد هذا النص الكريم ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذْ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما في الغار إذْ يقول لصاحبه لا تحزن إنَّ الله معنا**﴾.

ليلة النصف من شعبان

شهر شعبان هو شهر رسول الله ﷺ، كان يكثر الصيام فيه، كما أخبرت عنه أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها، إذ قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر. ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان ﷺ، أكثر ما يصوم فى شعبان. ولم يصم شهراً كاملاً إلا رمضان، فسألته عن سر ذلك، فقال ﷺ: «**ذاك شهر غفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وفيه ترفع الأعمال إلى الله تعالى. وأحب أنْ يرفع عملى إلى الله وأنا صائم**».

وفى شعبان كرَّم الله تعالى نبيه محمداً ﷺ، بنزول آية الصلاة عليه فقال عز شأنه: ﴿**إنَّ الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾.

وفيه أعلى مراتب التكريم للرسول ﷺ، إذْ أنعم الله تعالى على أمته بصلاته سبحانه هو وملائكته عليهم فقال عز شأنه: ﴿**هو الذى يُصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً**﴾.

وفضل صلاة الرب سبحانه وملائكته علي الأمة المحمدية، أنَّها إخراج لهم من ظلمات الجهالة والضلالة إلى نور المعرفة والهداية، وهى درجة في التكريم ما بعدها من تكريم لأمة خير رسول للعالمين، محمد ﷺ، الصادق الوعد الأمين. كما أمر الحق تعالى رسوله بالصلاة علي أمته وبيَّن أنَّ صلاة النبى علي أمته، هى سكينة لهم وأمن وطمأنينة، فقال عز ثناؤه: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إنَّ صلاتك سكن لهم**﴾.

وفي شعبان انتصر رسول الله ﷺ على يهود بنى المصطلق، كما نزلت فيه آية اليتيم التى جاءت رحمة للمسلمين ونفحة من بركات خير أمهات المؤمنين عائشة رضى الله عنها وفيه أيضاً انتصر البطل طارق بن زياد وفتح الله على يديه أوربا للمسلمين.

وفي شعبان وقع الحدث الجلل ألا وهو تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

فضل الصلاة والسلام على النبى ﷺ

إنَّ الصلاة والسلام علي النبى ﷺ، فرض على كل مسلم ومسلمة لقول الحق عز شأنه: ﴿ **إنَّ الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾.

وكيف لا يُصلى العبد على من صلى عليه الرب الجليل وملائكته إنَّها مرتبة فى التكريم والرفعة لرسولنا ﷺ الذى زكَّاه ربه سبحانه وامتدحه بقوله: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

وأحقر الناس من يترفع عن الصلاة عليه لقوله ﷺ: «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على**».

ومعنى: «**رغم أنف رجل** » أى مرِّغ في التراب وحُقِّر.

وقد بيَّن ﷺ أنَّ البخيل هو من ذكر رسول الله عنده فلم يصل عليه فقال لصحابته: « **أتدرون من البخيل**» قالوا الله ورسوله أعلم. قال ﷺ:«**من ذكرت عنده فلم يصل على** ».

وتستحب الصلاة علي النبى ﷺ بعد الأذان لكى يرتقى إلى أعلي المقامات لقوله ﷺ: « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلُّوا على. فإنَّ من صلى علي مرة صلّى الله تعالى عليه بها عشرا، ثم سلوا الله تعالى، لى الوسيلة، فإنَّها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجوا أنْ أكون هو** ».

وسؤال الوسيلة هو أنْ تقول :«**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة. آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة. والدرجة العالية الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد**».

والصلاة علي النبى ﷺ، من الله تعالى رفعة للدرجات، ومن الملائكة تكريم. ومن الثابت أنَّ الملائكة يستغفرون للمؤمنين ويدعون الله تعالى، لهم بالمغفرة للتائبين، وبالوقاية من ارتكاب السيئات للمسيئين: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ**

وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ إلى ﴿وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ـ٩].

*****

حول ليلة النصف

يجب أنْ ننبه إلى أنَّ ليلة النصف من شعبان ليست هى المعنية بقول الحق تعالى: ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾ فإن المعنية بهذا النص الكريم هى ليلة القدر.

أمَّا ليلة النصف فإنَّ الدعاء فيها مستجاب لقول الرسول ﷺ: «**يطلع الله على خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لعباده**».

ولن تصح أحاديث كثيرة وردت عن هذه الليلة، وأصحها هو حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها. قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل يُصلِّى فأطال السجود حتى ظننت أنَّه قبض فقمت إلى إبهام رجله فحركتها فتحركت. فعدت مكانى. فلما انتهى من صلاته قال:« **يا عائشة، أظننت أنَّ النبى قد خاس بك، أى ضيع عليك ليلتك**». قالت لا يا رسول الله. ولكننى ظننت أنَّك قُبِضَت لطول سجودك. فقال: «**أتدرى أى ليلة هذه يا عائشة؟**» قلت الله ورسوله أعلم.

قال ﷺ: « **هذه ليلة النصف من شعبان، يغفر الله تعالى فيها للمستغفرين. ويرحم المسترحمين، ويترك أهل الحق كماهم**» ثم سجد فأطال السجود ثم سمعته يدعو يقول: «**سجد لك خيالى وسوادى، وآمن بك فؤادى، وهذه يدى وماجنيت بها على نفسى، ياعظيم يُرجى لكل عظيم، يا عظيم اغفر الذنب العظيم، سجد لك وجهى الذى خلقته وشققت سمعه وبصره، أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك. وبك منك. لا أحصى ثناء عليك، أقول كما قال أخى داود: «أعفُر وجهى فى التراب لسيدى وحق له أنْ يُسجد**».

ولا يغيب عنا أنَّ تحويل القبلة هو أهم حدث فى هذه الليلة. إذْ كان المسلمون منذ هاجروا إلى المدينة يتجهون فى صلاتهم إلى البيت المقدس وظلوا على ذلك ستة عشرا شهراً. ثم أذن الله تعالى بالتحويل إلى الكعبة المشرفة.

فنزل قول الحق عز شأنه: ﴿ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة**

ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾.

وقد جاء التحويل إيذاناً باستقلال هذه الأمة، وقد نبَّه رسول الله ﷺ إلى أهمية قبلتنا وأنَّ أشد ما يتحسر عليه اليهود غيظا من ديننا قول ﷺ: « **إنهم لا يجدوننا علي شيء كما يجدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها. وعلى القبلة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها. وعلى قولنا خلف الإمام آمين**».

ولما نزلت آية التحويل أصاع فريق من المسلمين وكانوا بعيد عن المدينة. فمدحهم الرسول ﷺ بقوله: « **أولئك رجال يؤمنون بالغيب**».

والكعبة المشرفة هى أطهر بقعة على وجه المعمورة. وأول بيت وضع لله تعالى فى الأرض لقوله عز ثناؤه: ﴿ **إنَّ أول بيت وضع للناس للذى ببكة**﴾.

وقد امتن الله تعالى. على قريش بهذا البيت ومن حوله فقال سبحانه: ﴿**أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم**﴾.

والمقصود هنا هو الاتجاه إلي الله تعالى بالقلوب يملؤها الإيمان بالله عز شأنه وباليوم الآخر: لقوله تعالى: ﴿ **ليس البر أنْ تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر**﴾.

ولا شك فى أنَّ الاتجاه إلى القبلة، دليل على وحدة الأمة واستقلاليتها. والخضوع لله وحده عز وجل، الذى لا يحده مكان ولا يدركه زمان ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾، وإنَّما شرعت القبلة رمزا للطاعة.

*****

أثر تحويل القبلة

قال المسلمون سمعنا وأطعنا. وقال المشركون من قريش وغيرها. كما عاد لقبلتنا. يوشك أنْ يعود لعقيدتنا.

وقال اليهود: إنَّه تحول عن قبلة الأنبياء الذين أرسلوا قبله. ولو كان نبيا ما تحول عنها.

وقال المنافقون لا ندرى أين يتجه . فإنْ كانت الأولى حقاً فقد حاد عنها. وإنْ كانت الثانية هى الحق. فقد كان باتجاهه إلى الأولى على باطل. ويرد الحق تعالى عليهم جميعاً بقوله سبحانه: ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاَّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾.

وثبت المؤمنون فكان التحول إلي الكعبة هو الفوز الثالث لقوة إيمانهم بعد حادثة الإسراء والهجرة وقبل أنْ يخوضوا معركة بدر.

وقد امتدحهم الحق تعالى وبيَّن حقيقة إيمانهم بقوله سبحانه: ﴿ **فإمَّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون**﴾.

كم بيَّن حال المنافقين والمشركين فقال عز شانه: ﴿ **وأمَّا الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون**﴾.

ولاشك فى أنَّ الاتجاه إلي الكعبة بعد بيت المقدس. دلالة على وحدة الدين مهما تعددت مواطن السجود وصدق الحق إذْ يقول: ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾.

*****

بدر الكبرى

يوم بدر هو يوم فصل الحق تعالى فيه بين الحق والباطل، إذْ شهد أول لقاء بين فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة، وهو من أجل أيام الإسلام وأقدسها، إذْ دارت فيه رحى أول معركة في الإسلام انتصر فيها جيش الحق مع قلته فى العدد والعدة، ويعرف يوم بدر بيوم الفرقان؛ لأنَّ الحق تعالى فرق فيه بين الحق والباطل. فانتصرت فيه أجناد الرحمن على أجناد الشيطان، وقد سجل الحق تعالى يوم بدر في دستوره القويم القرآن العظيم يوم الفرقان قوله عز ثناؤه :

﴿ وأنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾.

فمنذ هاجر النبى ﷺ إلى المدينة وهو فى حركة مستمرة يواصل الاستعداد للمعارك مع خصوم الإسلام، ولنا نرى أولى خطاه أن آخى بين المهاجرين والأنصار، وأصلح بين الأوس والخزرج. وكتب صحيفة وقع عليها زعماء اليهود لحماية المدينة وعدم التآمر عليه.

وواصل التدريب، وبث العيون، وأرسل السرايا لاستطلاع أخبار قريش ومطاردة قوافلهم. وإشعارهم أنهم تحت قبضة المسلمين.

ثم أذن الله بالقتال دفاعاً عن الدين والمقدسات للمسلمين وغير المسلمين، وهى لفتة عظيمة، فى سماحة ودقة التشريع السماوى، لديننا الحنيف، ولولا المسلمون لما بقى على وجه الأرض معبد لليهود أو النصارى:

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾.

وأهم الدروس فى بدر، حكمة الرسول ﷺ.

١ ـ فى التخطيط السليم والقيادة الرشيدة ممثلة فى شخص الرسول ﷺ.

٢ ـ الشورى: فقد كان النبى يستشير الناس إذا لم ينزل وحى، ولذا نراه

يشاور أصحابه، قبل الخروج فيرد عليه مندوب المهاجرين بما يثلج صدره: «امض يا رسول الله لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون**﴾. ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

ويتقدم مندوب الأنصار، يقول: « كأنك تعنينا يا رسول الله ، لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا فخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت وسالم من شئت وحارب من شئت فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد.. إنا لصدق عند اللقاء صبر في الحرب، ولعل الله يريك ما تقر به عينك.

ولما وصلوا أرض المعركة رأى صحابى أن المكان الذى عسكروا فيه لا يتناسب مع المعركة. فتقدم من رسول الله ﷺ. وقال يا رسول الله... أهذا منزل أنزلكه الله؟ أو هو الرأى والحرب والمكيدة؟... فأجاب: «**بل هو الرأى والحرب والمكيدة**» فقال الصحابى وهو الحباب بن المنذر: أرى أن نغور الآبار ونملأ بئراً واحدة. فإذا جاء العدو، لم يجد الماء فيفقد أهم أسلحة الحرب، وإذا بالرسول يصيح أنزلوا على رأى الحباب بن المنذر.

٣ ـ المشورة : فى الأسرى«... فلما انتهت المعركة استشار الرسول ﷺ. فوجد من أبى بكر لينا، ومن عمر شدة. فقال قولته المشهورة: إن مثلك يا أبا بكر... مثل الخليل إبراهيم... قال:﴿**فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم**﴾. وإن مثلك يا عمر، مثل نوح قال: ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً**﴾.

٤ ـ مساواة القائد بالجنود فى السير، فقد تعاقب النبى ﷺ مع على بن أبى طالب. ومرثد بن عمير علي بعير، ولما طلبا منه أن يركب هو فقط، قال: لا، لستما بأقوى منى، ولست بأغنى منكما عن الأجر. واعتبر نفسه واحداً منهم، بينما قريش سادة وعبيد.

٥ ـ الاستطلاع: أرسل عليا والزبير. . . فظفرا بغلامين. . . ومنهما عرف النبى ﷺ. قيادة الخصم. وأعداده وخطته، وقال لأصحابه: «**إن مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها**».

وقد نظم صفوف المسلمين بنفسه. وأوصى الجند «**أنضحوهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم على النبل**» ورتب القلب والجناحين، ودفع بأقاربه فى أول مبارزة فقتل حمزة عتبة. وقتل الوليد بن عتبة. وتضارب عبيد بن الحارث وشيبة بن ربيعة. وكانت النتيجة واحداً لثلاثة. فكان أول شهيد من أقارب النبى.

خوف القائد علي جنوده، استغاثة بالدعاء إلى الله تعالى «**اللهم إنهم حفاة فاحملهم. عراة فاكسهم. جياع فاطعمهم**»، ولم يكن معهم من الزاد إلا التمر والماء، ولما بدأت المعركة، دعا: «**اللهم انجز وعدك لى فى قريش، اللهم إن قريش جاءت بخيلها، وخيلاتها ترجو رسولك**».

ثم يعقب: «**اللهم إن تهلك هذة العصبة** ـ يقصد أصحابه ـ **فلن تعبد فى الأرض أبداً**» ونصبوا له عرشا، وقام أبو بكر يدافع عنه؛ ولذا لقب بأشجع الشجعان.

بشائر النصر: وصل المسلمون مبكرين ونالوا راحتهم بينما وصلت قريش متأخرة.

المسلمون ينالون قسطاً من النعاس بينما ظلت قريش ساهرة خوفاً وفزعاً.

ولقد كانت معركة بدر أول لقاء مسلح بين المسلمين وأعداء الحق، فى معركة حاسمة، مَنَّ الله فيها علي رسوله والمؤمنين بنصر حاسم غير وجه التاريخ بل غير مسيرة الحياة بأسرها، رغم أن المسلمين كانوا يوم بدر قلة في العدد، ورقة فى الحال. ولم يتجاوز عددهم ثلاثمائة عشر (٣١٣) تحت قيادة النبى ﷺ، ومن رسائل النقل لا يوجد لديهم إلا فرسان وسبعون بعيراً. هذا بينما كان المشركون زهاء ألف فارس كاملى العدة والعتاد.

دارت المعركة وانتصرت القلة المؤمنة وتساقطت رؤس الشرك وعلي رأسهم الجبار أبو جهل. الذى أطلق عليه النبى ﷺ، فرعون هذه الأمة، وثبتت أقدام المسلمين.

وهكذا تم أول لقاء بين جند الرحمن وجند الشيطان ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم.

ولتكون تلك المعركة نوراً يضيء قلوب المؤمنين خلال رحلة الزمن إلي سبيل العزة والسلام، وليزداد المؤمنين إيماناً مع إيمانهم ولتطمئن قلوب أهل الحق ، أن النصر لا يعنى كثرة العدد والعدة، ولكن النصر بقوة الإيمان وتقوى الرحمن عز وجل ووحدة الصف.

مرض الزعامة: أدى إلى خلل في القيادة بالنسبة لقريش. فكل منهم أراد أن يكون زعيماً. بينما توحدت صفوف المسلمين تحت قيادة الرسول ﷺ. واستعانوا بذكر الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لعلكم تفلحون**﴾.

المدد والغوث من السماء: نزلت الملائكة لتثبيت المسلمين، ولم يقاتلوا معهم وإلا كان ذلك عدم تكافؤ:﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا**﴾.

الحكمة والتقدير، من العلى الكبير، قلل الله المسلمين فى أعين المشركين فاستهانوا بهم وقلل الله المشركين فى أعين المسلمين فشجعهم ذلك للقضاء عليهم، ورأى النبى ﷺ في المنام أبعاد المعركة ومصارع الجبابرة فاستيقظ وهو يصيح

﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾.

والحق سبحانه يقول :﴿ **إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم وتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم** ﴾.

﴿ **قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء**﴾.

السماء تؤدى دوراً: أنزل الحق جل وعلا مطرا خفيفا ناحية المسلمين فثبت الأرض تحت أقدامهم. بينما نزل مطرا غزيراً ناحية قريش فآذاهم الله: ﴿ **إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام**﴾.

المسلمون متسابقون فى نيل الشهادة أو النصر، بينما حرصت قريش على الحياة وكل واحد فكر فى زوجته وماله وولده.

والخلاصة أن صدق المقصد والإخلاص لله تعالى هما السلاح الحقيقى لإحراز النصر.

فتحية لأهل بدر في يوم الفرقان وتحية لنبى الرحمة يوم حمل اللواء في بدر. وسلام على البدرين كلما هبت نسمة في التاريخ تحمل ريح شهداء لا إله إلا الله الذين بذلوا دماءهم أهدروا أرواحهم خالصة لتحيى بها لا إله إلا الله . . .وتحية لكل من سار على نهجهم واقتدى بهديهم. . .

قال ﷺ: « **نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلى، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وكل نبى أرسل بلسان قومه خاصة وأرسلت للعالمين كافة**».

*****

ليلة القدر

هى ليلة الشرف والتقدير والمقام الرفيع.

اختصها الحق تعالى بأشرف غاية وأقدس حدث ألا وهو نزول القرآن العظيم فيها: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾.

فهى تعدل فى فضلها الزمن كله. وإنما ذكر الألف؛ لأنّ العرب كانوا لا يعرفون زيادة على الألف. وهى منحة الله تعالى. تكرر كل عام مرة فى شهر رمضان الذى شرفه الله تعالى بنزول القرآن فيه: ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾.

ولا يمكن لمؤمن أنْ يتصور رمضان بغير القرآن. ولا ليلة القدر بغير القرآن، فرمضان جميعه شهر القرآن، وليلة القدر فريدة منه بأعلى مراتب الشرف، إذْ خصَّها الحق تعالى بنزول أقدس كتاب وأصدق الحديث وأعز شيء على الله من السموات والأرض ومن فيهن القرآن العظيم، كلام الله القديم: ﴿**وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾.

وقد كان الرسول ﷺ. إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان . أحيا الليل. وأيقظ أهله، وشد مئزره فبأى شيء كان يحيى الليل؟ ولماذا؟ يحيى الليل بالقرآن بالذكر والتسبيح بالأستغفار، بالتضرع بطيب الكلم وجميل الدعاء فى الطلب، لكى يظفر بفضل خير ليلة فى الميقات الزمانى، ويُعلِّم أمته كيف تغتنم الليالى الغظام، فهى ليلة فريدة، ينزل فيها الأمين جبريل عليه السلام، يمرون بالذاكرين والعابدين والقائمين :﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام** ﴾.

فهى ليلة السلام سلام من آفات الدنيا. سلام فى القلب سلام بين الناس. وتمتد من غروب الشمس حتى طلوع الفجر ليتسع الوقت للعابدين والطالبين والتائبين ﴿ **سلام هى حتى مطلع الفجر**﴾.

ولعل من أجل وأجمل ما يتحلى به المؤمن فى ليلة التجليات العلّية. والمنح السنية والفويضات والأسرار الربانية، أنْ نحيى سنة رسولنا الكريم ﷺ. الذى أطلعه رب العزة سبحانه على أعمار أمته. فوجد متوسط الأعمار الأمة ما بين الستين إلى الثمانين، فبكى النبى ﷺ من أجل أمته، لأنَّهم لن ينالوا من الفضل مثل الأمم السابقة لأنَّ الصلاح فى الأعمال لا يتحقق إلا بتوافر الزمن، والأمم السابقة أعمارها طويلة، فأوحى الله تعالى إليه أنْ يا محمد، إنِّى أتيت أمتك ليلة خير من ألف شهر، أى تزيد فى فضلها على عبادة ألف شهر وهو ما يعادل عبادة ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، وهو ما يزيد على متوسط أعمار الأمة وقد بين ﷺ فضل طول العمر فى حديث له فقال: « **خيركم من طال عمره وحسن عمله** ».

وليلة القدر هى ليلة الحكم والقضاء، أى فيها يطلع الله تبارك وتعالى ملائكته على ما قضى ودبر من شؤون الخلق، والعالم العلوى والعالم الأدنى؛ لأن حكمه سابق ولا يشرك فيه أحد.

﴿ **له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً** ﴾.

فكأن ليلة القدر هى ليلة توزيع جدول الأعمال التى اختص بها الحق جل وعلا، الملائكة القائمون على شؤون خلقه بإذنه؛ لأنه لا يقع شىء فى ملك الله إلا ما شاء الله، أكد هذا المعنى قوله عز وجل: ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾.

وسميت ليلة القدر لأنها يقدر فيها الأمور والأحكام كلها من السنة إلى السنة المقبلة للمدبرات: ﴿ **فالمدبرات أمراً** ﴾.

فيتسلم : سجل الرحمة والعذاب جبريل عليه السلام.

ويتسلم : سجل النباتات والأرزاق ميكائيل عليه السلام.

ويتسلم: سجل الأمطار والرياح إسرافيل عليه السلام.

ويتسلم : سجل قبض الأرواح وانقضاء الآجال عزرائيل عليه السلام. . لقوله

عز ثناؤه: ﴿**فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾.

والقدر بمعنى التضييق؛ لأن الأرض تضيق بالملائكة فى هذه الليلة لكثرة نزولهم:

﴿ **تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض**﴾.

وقيل سبب نزولها أى السورة: أنه لما دنا وفاة النبى ﷺ. وقرب فراقه لأمته بكى رسول الله وحزن، وقال: « **إذا خرجت من الدنيا فمن يبلغ سلام الله على أمتى** ». واغتنم قلبه ﷺ ففرح الله قلبه. لقوله: ﴿ **تنزل الملائكة والروح** ﴾. حتى يبلغوا سلامى ولا أمنع عنهم، فلا تحزن يا حبيبى يا محمد.

قال الإمام الرازى: فإذا طلع الفجر فى ليلة القدر: نادى جبريل عليه السلام: يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل... فيقولون يا جبريل... ما صنع الله بالمسلمين فى هذه الليلة من أمة محمد ﷺ. فيقول لهم: « **إن الله تعالى نظر إليهم بالرحمة وعفا عنهم، وغفر لهم إلا أربعة نفر:**

١ ـ مدمن خمر. ٢ ـ وعاق لوالديه.

٣ ـ وقاطع رحم. ٤ ـ والمشاحن (أى المخاصم فوق ثلاثة أيام).»

وروى عن النبى ﷺ: أنه قال: « **أبواب السموات مفتوحة فى ليلة القدر، ما من عبد يصلى فيها إلا جعل الله تعالى له بكل تكبيرة غرس شجرة فى الجنة، لو سار الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها** ».

وفى الخبر عن النبى ﷺ قال: « **ينزل فى ليلة القدر أربعة ألوية:**

١ ـ لواء الحمد، ٢ ـ لواء الرحمة ٣ ـ ولواء المغفرة ٤ ـ ولواء الكرامة

ومع كل لواء سبعون ألفا من الملائكة. وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فمن قال فى تلك الليلة ثلاث مرات:

لا إله إلا الله محمد رسول الله، غفر الله تعالى له بواحدة، ونجاه من النار بواحدة. وأدخله الجنة بواحدة».

فينصب لواء الحمد بين السماء والأرض، ولواء الرحمة فوق الكعبة. ولواء المغفرة فوق قبر النبى ﷺ. ولواء الكرامة فوق الصخرة ببيت المقدس. واعلم أن عدد حروف ليلة القدر تسعة أحرف، وقد كررت فى السورة ثلاث مرات فتكون جملة الحروف سبعا وعشرين حرفا (٢٧ حرف).

ولعل السر فى جعلها مخفاة على الأمة ليزدادوا اجتهاداً وفضلاً. وقربى من الله عز وجل: ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر**﴾، أى ليلة الحكم والقضاء والحق جل وعلا لا يقضى فى هذه الليلة إلا بالسلامة، ويقضى فى غيرها بالسلامة والبلاء معاً: ﴿**وما أدراك ما ليلة القدر**﴾ ومن أخبرك يا محمد بليلة القدر وعلمك قبل أن أعلمك ليلة القدر تفضل عبادتها عبادة ألف شهر وهى تزيد فى الفضل والعطاء من خالق الأرض والسماء لقوله سبحانه: ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾.

وورد: أن ملك ذو القرنين كان مسيرة خمسمائة عام. وملك سليمان بن داود خمسمائة عام أيضا، فأعطى الله تبارك وتعالى أمة محمد ﷺ ليلة تعدل الملكين وتزيد فى الفضل، هى ليلة القدر.

فواجب على أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فى ليلة التجليات والمنح السنية أن تتزود لربها بالقرب فى الطاعات وعمل الصالحات: « **من قام ساعة فى ليلة القدر، قدر ما يحلب الراعى شاته، أحب إلى الله من صيام الدهر كله**».

وقد أخفى الله تعالى هذه الليلة فى ليالى الوتر فى العشر الأواخر من رمضان، كما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة، وكذلك بحكمته أخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس وأخفى الاسم الأعظم فى الأسماء الحسنى، ليزيد المؤمن قربى، وتكرار الدعاء، وكثرة الذكر والرجاء تحقق الرجاء، ومما يسعد به المؤمن أن الحق جل وعلا لا يخيب رجاء من ارتجاه، وعن عائشة رضى الله عنها، أنها سألت رسول الله ﷺ. قالت: يا رسول الله... لو رافقت ليلة القدر.... فماذا أقول؟...

قال: « قولى: « **اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى** »...

*****

يوم العيد

من الثابت أنَّه لكل أمة من الأمم أعيادها التى تعتز بها. ولها المكانة السامية فى نفوس ووجدان أبنائها، ولَّما كانت أمة الإسلام هى خير أمة أخرجت للناس. جاءت أعيادها أكرم الأعياد ،إذ جعلها الحق تعالى مرتبطة بعقيدتها.

فعيد الفطر، يأتى عقب صوم شهر رمضان المبارك، وقد تطهرت النفوس، وزكت الأرواح بالصوم، وعيد الأضحى يأتى عقب أداة فريضة الحج ومناسكه، الذى من أدَّاه من المسلمين ولم يرفث ولم يفسُق،جع من ذنبه كيوم ولدته أمُّه.

والعيد مشتق من العودة؛ لأنَّه يعود فى عام مرة بالفرحة والبهجة والسعادة، وهو رمز للسرور وقوة فى الرابطة وتحديد الأواصر فى المودة والألفة بين القلوب، وهو وسيلة للصفاء وإذابة الضغائن والعداوات، والقطيعة بين المتخاصمين والمتشاحنين، وكذا تجديد صلة الأرحام فى القاطعين، وهو دعوة للتراحم ونبذ الفرقة والعداوة بين المؤمنين. ودعوة من الله تعالى على موائد رحمته؛ ولذا يحرم صوم يوم العيد دون سائر أيام السنة.

ويجدُر بالمسلمين فى أعيادهم غرث المحبة والعمل على إكرام الأيتام وإطعام الفقراء والبائسين، وسد حاجة المحتاجين، والتصالح والتسامح مع المتخاصمين فإنَّ العيد رمز للصفاء والطهر والإخاء والنقاء والحب والعناء

*****

عيد الفطر

يُعرف يوم عيد الفطر بيوم الجائزة، وإنَّما سُمِّى العيد عيداً لعودته وهو دعوة من الله تعالى على موائد رحمته، ولم ترد كلمة عيد فى القرآن العظيم إلا مرة واحدة على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام. حين طلب المائدة نزولا على رغبة الحواريين فيما حكاه عنه القرآن قول عز ثناؤه ﴿ **قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا**﴾.

والعيد إشعار بالفرحة بعد تمام النعمة.

وقد طلب الحواريون المائدة طلباً ماديا فقدموا بذلك الأكل على العبادة. والمادة على الروح فعلمهم عيسى عليه السلام أدب الإسلام، وقدم العبادة على الطعام، واعتبر نزول المائدة عيداً يشير إلى أن العبد مقترن بالأكل والفرح، ولم يذكر كلمة الأكل وإنما ذكر الرزق... بقوله :﴿ **وارزقنا وأنت خير الرازقين**﴾؛ لأن الرزق طعام حلال... أما الأكل فيشمل الحلال والحرام.

والله تبارك تعالى : جعل كمال العدة وتكبيره من تمام نعمة الهداية التى أنعم بها فقال سبحانه: ﴿ **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم**﴾.

وقول الرسول ﷺ: « **زينوا أعيادكم بكثرة التكبير** ».

فمن أتم العدة بالصيام. وكبر الله، وزكى نفسه وماله بالزكاة، ووصل رحمه، وأعطى من حرمه، ووصل من قطعه، وعفا عمن ظلمه، فيصدق فيه قول الحق جل وعلا: ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾... أى قد فاز حقا من طهر نفسه وروحه وقلبه، وأدى الفريضة والمناسك، وأحسن صنعاً، فلا وصف أرقى من الفوز فى قول الرحمن : ﴿ **قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى** ﴾.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين» ثم صعد الدرجة الثانية.. فقال: « آمين» ثم صعد الثالثة فقال: «آمين».. ثم استوى فجلس، فقال له معاذ بن جبل: صعدت فأمنت ثلاث فما حكمة ذلك

يا رسول الله ؟ قال: « **أتانى جبريل وقال يا محمد من أدرك رمضان ولم يصم ولم يغفر له، دخل النار فأبعده الله منها... فقلت: آمين. قال: ومن أدرك أبويه أو أحدهما ولم يبرهما دخل النار فأبعده الله منها... فقلت آمين، قال: من ذكر عنده اسمك ولم يصل عليك دخل النار فأبعده الله منها...قلت آمين**».

يفهم من ذلك أن رمضان موسم الحسنات، فعلى المؤمن أن يغتنم الشهر، ليكفر عن ذنبه، ويطلب المغفرة من ربه، وأن يحسن لوالديه إن وجدا أو أحدهما. . .فبرهما سبب فى رضى الغفار، وفى المغفرة.

ومن ذكر عنده اسم الرسول ﷺ فليكثر من الصلاة عليه لأنها تكون للعبد نور على الصراط. . .

وقال ﷺ : « **صوم العبد معلق بين السماء والأرض، مالم يؤد صدقة الفطر**». وإذا أدى زكاة الفطر جعل الله تعالى له جناحين أخضرين يطير بهما إلى السماء السابعة.

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: « للمؤمن خمسة أعياد».

١ ـ كل يوم يمر على المؤمن لا يكتب عليه فيه ذنب فهو عيد.

٢ ـ واليوم الذى يخرج فيه من الدنيا على الإيمان والشهادة فهو عيد.

٣ ـ واليوم الذى يحرز فيه الصراط ويأمن من أهوال القيامة، ويخلص من الخصوم والزبانية فهو عيد.

٤ ـ واليوم الذى يدخل فيه الجنة ويأمن الجحيم فهو عيد.

٥ ـ واليوم الذى ينظر فيه إلى وجه ربه الكريم فهو عيد.

وقال ﷺ : « **إذا كان يوم الفطر يبعث الله تعالى الملائكة فيهبطون إلى الأرض فى كل مكان... فيقولون يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم، فإذا برزوا إلى مصلاهم.. يقول الله تعالى : اشهدوا يا ملائكتى أنى قد جعلت ثوابهم على صيامهم، رضائى عنهم ومغفرتى لهم**».

ويقال: إن الحكمة فى عيد الدنيا. . . تذكرة لعيد الآخرة.

ومن دواعى السرور فى العيد الرحمة باليتامى والمساكين والبائسين حتى نعم الفرحة. ويذهب الحزن وتنشرح الصدور، فيصدق فى المؤمن قول الحق جل وعلا:

﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾.

أما من قست قلوبهم: **﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾.**

أيها المسلمون: إن هذا اليوم المبارك يوم عيد عيد وبهجة وبر وتقوى، ومودة ورحمة يشعر فيه بالرضا والسعادة من أتم صيامه وقيامه، وبذل فيه العطاء ابتغاء مرضات الله عز وجل.

من أنفق من حر ماله وأدخل السرور على أهله وعياله. وجدد روابط المودة بين أهله وجيرانه. وأظهر نعم الخالق جل وعلا... على نفسه لقوله ﷺ: « **إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**».

وفى رواية الإمام أحمد: أن رسول الله ﷺقال: « **كلوا واشربوا، والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف... فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**».

وفى الحديث : أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق تنادى: يا معشر المسلمين...اغدوا إلى رب كريم يمن بالخبر ثم يثيب عليه بالجزيل... لقد أمرتم بصيام النهار فصمتم وبقيام الليل فقمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم. فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة**».

*****

يـــــوم عرفـــــات

من أجلّ أيام الله وأعظمها على الله عز شأنه يوم عرفة فقد حباه الله تعالى، قدسية سامية. ومكانة رفيعة عالية. قال فيه الحبيب المصطفى ﷺ :« **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة. وخير دعاء دعاء يوم عرفة .**

وأفضل ما قلت والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد . يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير».

وصيام يوم عرفة من أعظم القربات إلى الله وأجلها، ثوابه عظيم ونفعة عميم. وكفاه فخراً أنَّه الركن الأعظم من أركان الحج ولا يتم الحج إلا به، لقول رسول الله ﷺ: « **الحج عرفة** ».

وميقاته قبل طلوع فجر يوم النحر فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج. ومن لم يدرك عرفة لم يدرك الحج.

أمَّا أيام منى، فثلاثة ، فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه تأخر فلا إثم عليه لقول الحق عز ثناؤه: ﴿ **واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون**﴾.

ولا يغيب عن مؤمن أنَّ يوم عرفة هو اليوم الذى اكتمل فيه الدين، وتمت فيه النعمة، نعمة الهداية. وتم فيه رضا الله الأعظم للمسلمين الإسلام ديناً لهم. فقد نزلت فيه آية الكمال الجامعة الشافية الكافية على رسول الله ﷺ فى حجة الوداع قول الحق عز ثناؤه: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾.

وكفى بيوم عرفة فخرا أنَّ الحق تعالى. خلَّد ذكره. ورفع قدره، بأن ذكره فى القرآن العظيم ضمن ترتيب المناسك فى قوله عز شأنه: ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم**﴾.

ومن الثابت أنَّ رسول الله ﷺ حج حجة وحيدة، عرفت بحجة الوداع، خطب فيها خُطبة جامعة. ضمنها من الإرشادات النبوية، والحكمة الربانية، والمبادئ السامية، ما يُصلح حال الأمة، بل حال البشرية جمعاء. وإلى أنْ يرث الله تعالى. الأرض ومن عليها. . .

وقد اشتملت على ما يلى: ـ

أولا : أمان المجتمع. فإنَّ أول ما اعتنى به الإسلام. فحياة الأفراد وسلامة أرواحهم وحفظ دمائهم. وأموالهم وأعراضهم جاءت فى المقام الأول من الإرشادات النبوية فى قوله ﷺ .

« إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلَّغت اللهم فاشهد».

ثانيا: الحث على الأمانة لأنَّها سر السعادة ومفتاح الأمان ودعامة الثقة والاطمئنان فى المعاملات والحقوق والواجبات. وهى الإيمان أجمع فقال ﷺ:

« من كانت عنده أمانة. فليؤدها لمن ائتمنه».

ومن الثابت أنَّه ﷺ. ما خطب إلا قال: « **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له**».

وقال ﷺ: « **أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك**». وقد امتدح الحق تعالى. أهل الأمانة وأهل الوفاء بالعهد ووهبهم الفلاح دنيا وآخرة فقال سبحانه

﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾. إلى أجل الوصف وطيب الفعال لهم بقوله عز شأنه: ﴿ **والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون**﴾.

ولقدسية الأمانة وأهميتها فى حياة الناس أمر الحق تعالى أحبابه بأدائها فى قوله عز ثناؤه: ﴿ **إنَّ الله يأمركم أنْ تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾.

والمعنى: لا ينصبُ إلا إذا ضاعت ونُصبت القضاء وجب العدل ولو كان القاضى الذى سينظر الدعوة شقيق أحد الخصمين.

ثالثا: تحريم الربا. وهو آخر ما حرم فى الإسلام.

قوله ﷺ: « **إنَّ كل ربًا فى الجاهلية موضوع. وأول ربًا أضعه. ربا عمى العباس بن عبد المطلب، ولكن لكم رءوس أموالكم. لا تظلمون ولا تُظلمون**».

ومن الثابت أنَّ الربا هدم للمجتمعات. واستغلال للمحتاجين وانعدام للمروءة عند قضاء الحاجات. فإنَّ المرابى يستغل ذوى الحاجة فيتجرد من إنسانيته، وتنعدم مروءته تحت تأثير تملك المادة والحرْص على زيادة المال بطريقة إنْ لا مبالاة، لذا أعلن الحق تعالى الحرب على المرابين فى قوله سبحانه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إنْ كنتم مؤمنين . فإنْ لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فإنْ تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون**﴾ .

ولا يغيب عنا أنَّ رسول الله ﷺ رأى فى ليلة الإسراء والمعراج أكلة الربا وهم يسبحون فى بحار من الدماء التى امتصوها من عروق المحتاجين والبائسين من ذوى الحاجات الذين اضطرتهم شدة الحاجة إلى أنْ يقبلوا بشروط المرابين. تحت قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات. لكن المرابين لا يقيمون للإنسانية وزناً. ولا للرحمة معنى. ولا يعرفون للمروءة سبيلا، ولا لحلاوة الإيمان طعما؛ لأنَّ حُب المال فى قلوب المرابين والرغبة فى زيادته بالربا. يفقدهم الذوق الحسى والمعنى. فتلحق الأبصار غشاوة فلا ترى النور. وتقسو القلوب داخل الصدور، وصدق الحق تعالى: إذ يقول: ﴿**فإنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**﴾ .

رابعاً: ما جاء فيها من الإخبار النبوى عن يأس الشيطان قوله ﷺ: « **إنَّ الشيطان يئس أنْ يُعبد فى أرضكم هذه أبداً... ولكنه يطمع فى ما سوى ذلك. فقد رضى بما تحقِّرون من أعمالكم. فاحذروه على دينكم، والشيطان عدو الإنسان ﴿إنَّ الشيطان لكم عدو فاتخذوا عدواً إنَّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾**.

خامساً: ما تضمنته من الوصايا بالنساء والحث على إكرامهن قوله ﷺ: « **إنَّ**

لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقا، لكم عليهن أنْ لا يوْطئن فرشكم أحداً تكرهونه إلا بإذنكم. وعليهنَّ أنْ لا يأتين بفاحشة مبينة. فإنْ فعلن فإنَّ الله قد أذن لكم أنْ تهجروهنَّ فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن فعلن فلهنَّ رزقهنَّ وكسوتُهنَّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهنَّ عندكم عوان، لا يملكن لانفسهنَّ شيئا، وإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهُنَّ بكلمة الله، فاعقلوا».

ومعنى : فاعقلوا، أى تثبتوا على منهج الله تعالى. والزموا تعاليمه. فقد جعل الحق عز شأنه الزوجة سكن للرجل فيما قرر القرآن قول الحق: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

ومعنى : لتسكنوا إليها، أى ليطمئن كل منكما إلى الآخر والمودة والرحمة بين الزوجين هى أصل المعاشرة فى الإسلام الحنيف.

وقال عز شأنه: ﴿ وعاشروهنَّ بالمعروف فإن كرهتموهنَّ فعسى أنْ تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾. ويمنع التعدى على الزوجة بالقول أو الفعل وعدم مضايقتها ويحث على الصبر على ما يكون منها فقال ﷺ: « لا يفرك - أى لا يبغض - زوج زوجته. إنْ كره منها خُلقاً. رضى منها خلقاً آخر».

سادساً : الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة فهما الإسلام جميعه فقال ﷺ: « تركت فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى ».

وقد أشار الحق تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ فإنْ تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾.

وقال عز شأنه: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم جرحا مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾.

سابعاً : بيان أنَّ أخوة الإسلام لا تقل شيئاً عن أخوة النسب فقال ﷺ: «إنَّ المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب خاطر فلا تظلموا

أنفسكم».

ولا نزلت: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ ،ففرح المسلمون وبكى أبو بكر وقال رضى الله عنه، ما تم شيء إلا بدأ نقصانه. فما بعد الكمال إلا النقصان. واعتبرها نعياً للرسول ﷺ.

*****

عيد الأضحى

يعرف عيد الأضحى بيوم التضحية والفداء، وهو لا يشير إلى الأضحية كناحية مادية، وإنَّما هى رمز قُصِدَ به معنى، هو أعلا مراتب الفداء، فى من أسلم وجهه لله تعالى. الخليل إبراهيم وولده عليهما السلام، حين رأى فى منامه رؤيا ذبحه، يعرض الأب على الابن، عرض الواثق من قوة إيمان ولده وحسن طاعته لله عز وجل، وسن جملة طاعة الله. طاعته لأمر أبيه، نلاحظ عرض الأب على ابنه أمر الرب سبحانه، دون غلظة أو قسوة أو تسلط أو قهر من القوى للضعيف، أو إرغام الكبير للصغير، إطلاقاً لم يكن الخليل كذلك. لا دكتاتورية ولا هيمنة.

وإنَّما مشورة فى طُمأنينة وميمنة، تفوح منها رائحة الحرية والسكينة، وهو يعرض قدره فيما حكاه عنه القرآن :﴿ **يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾.

وتأتى الإجابة من الابن بما توقع الأب واطمأنت له نفسه بثقة الواثقين من بر الأبرار مهما اشتدت وقست الأقدار فإنَّ إسماعيل بار ابن بار ﴿ **ياأبت افعل ما تؤمر**﴾.

وما أجمل ما سجل القرآن من تضحيات الأخيار. على سبيل المثال. كتضحية سحرة فرعون الذين استهانوا بالعذاب الفرعونى والموت فى سبيل عقيدتهم حين وقر نور الإيمان واليقين فى قلوبهم: ﴿ **قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنَّما تقضى هذا الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** ﴾.

وكذلك من أجل وأعظم ما سجل القرآن العظيم من التضحيات. تضحية آسية بنت مزاحم. تلك التى تخلَّت عن الملك والقصور ورضيت بجوار ربها الغفور . فمن أطيب ما سجل القرآن العظيم على لسانه قول الحق عز ثناؤه: ﴿**رب ابنى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين**﴾.

فاستجاب الحق تعالى، دعاءها. وبنى لها بيتاً فى الجنة من ذهب لا نصب فيه ولا ضخب.

وكذا تضحية [مؤمن يس] هذا الذى ناصر الرسل دون طمع فى شىء، فقتله الجبابرة المعاندون. فأدخله الحق تعالى: الجنة فيما سجله له القرآن العظيم: **﴿ قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون. بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾** وكذلك تضحية أصحاب سيدنا محمد ﷺ. الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. فيما حكاه عنهم القرآن العظيم حال رؤيتهم الأعداء قول الحق عز شأنه: **﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾**.

ولا شك فى أنَّ ذكرى التضحية والفداء فى الخليل إبراهيم وولده إسماعيل خلَّدها قيوم السموات والأرض، جل وعلا. وكلما دار الفلك دورة تتجدد الذكرى فى نفوس ومشاعر المسلمين. فالخليل رزق باسماعيل على الكبر بعد ما بلغ من العمر ستا وتسعين عاماً أو يزيد، حُرِمَ خلالها الولد. وجاء إسماعيل دعوة استجابها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، فيما سجله القرآن قوله سبحانه: **﴿وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين. رب هب لى من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم﴾**.

ومعنى: حليم: أى لا يتعجل العقوبة. ليس سريع الغضب. **﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾** بلغ الثالثة عشر وأصبح يمشى مع أبيه. وأصبح لأبيه كل شئ فى حياته. وأمله الذى يتطلع إليه من الله عز وجل. وإذا به يرى رؤيا ذبحه فيطبق خليل الرحمن عليه السلام. أسمى مبدأ فى الإسلام الحنيف. هو مبدء الشورى بعرض القضية على فلذة كبده إسماعيل **﴿قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى﴾**.

والإجابة من إسماعيل **﴿ قال ياأبت افعل ما تؤمر﴾** يعرض على قرة عينه أخطر وأصعب قرار، هو قرار ذبحه، وسرعان ما نظر إسماعيل عليه السلام، فى الأمر ورأى الامتثال لأمر أبيه، ضارباً أروع أمثال الطاعة والتضحية، من هنا نتعلم

مبدأ المشورة فى الرأى، مهما كان حجمه، فمن واجب الآباء أنْ يحرصوا على مشورة الأبناء مهما كانت حداثة سنهم، يعرض الخليل على ابن بحكمة النبوة وصبر وثبات الصادقين الواثقين، من رسخت فى قلوبهم حلاوة الإيمان. والثقة من هذا الأمر من الرحمن عز شأنه. وما دام الأمر من الله. فالجميع لأمر الله فداء. وسرعان ما أجاب الصغير وطلب الرب الجليل **﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إنْ شاء الله من الصابرين﴾**

إجابة للأب.. مع أملاً بمشيئة من الله تعالى أن يكون إسماعيل من الصابرين على هذا البلاء. وبكى الأب. نعم الابن والعون أنت يا إسماعيل.

﴿ فلما أسلما وتله للجبين﴾.

أى فلما رضيا الاثنان بقضاء الله عز وجل. وسلَّما أمرهما لحكمه سبحانه. وتلَّه للجبين: أى جعله ملقاً على وجهه وهذه وصيةمن وصايا إسماعيل لأبيه عليهما السلام. وأخذ الخليل، يذبح بالفعل، والحق تعالى يُباهى بهما ملائكة السماء. ،نظروا عبدى كيف يذبح ولده تنفيذا لأمرى وابتغاء مرضاتى...

وعلى الفور، كان الغوث والمدد، والعفو ممن أحاط كل شىء علما، وأحصى كل شىء عددا، الخالق القدير، صاحب الأمر ومالك التدبير الملك الكبير جل وعلا.

وكان النداء من الجليل عز شأنه :**﴿ وناديناه أنْ يا إبراهيم قد صدَّقت الرؤيا﴾**.

أى أنت فعلت ما فيه الكفاية دليل على صدق إيمانك أنت وولدك: **﴿ إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾**.

كذلك حقاً على الله تعالى. أنْ يجزى كل محسن أخلص لله عز شأنه فى طاعته. وأى جزاء يعدل جزاء المحسنين يوم اللقاء يوم العرض على خالق الأرض والسماء عز ثناؤه. يوم يقوم الناس لرب العالمين **﴿ إنَّ هذا لهو البلاء المبين. وفديناه**

بذبح عظيم﴾.

وإن هذا لهو الاختبار الحقيقى. والامتحان الصعب للإيمان فى أسمى معانى صدقه.

فتجلت رحمة الله تعالى. عفواً عن الاثنين. وهكذا يصور لنا القرآن حال الأب، ووفاء الابن، فتمت نعمة الرب سبحانه بالعفو، ففداه بكبش عظيم، ولا يغيب عن ذى بصيرة ممن سعدوا بحلاوة الإيمان ونور اليقين، أنَّ فى صدق هذا الفداء.

وتلك التضحية معان كثيرة. تسموا بقلوب المؤمنين إلى بذل كل غال حتى ولو كان النفس فداءً لأمر ربها. وابتغاء مرضاته. وإيماناً بأنَّه سبحانه لا يضيع أجر من أخلص له قلبه.

وأحسن فى سبيل رضوانه الأكبر عمله. فإنَّه سبحانه: لا يضيع أجره فى الدنيا ولا فى الآخرة مصدقاً لقوله عز شأنه: **﴿ إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾**.

وتعتبر قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام وتضحية وفداء من أروع ما أورد التنزيل فى قصصه البديع وذكره الحكيم وهى من مجمل ما تلاه الحق سبحانه على رسول الكريم محمد ﷺ. إكراماً له وإعلاماً له بالمغيبات من الأخبار والوقائع التى لم يشهدها ولم يشهد عهدها لقوله عز ثناؤه **﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾** [٤٩ : هود]

وقد قرر التنزيل بيان موعد التضحية [الأضحية] يوم الفداء يوم الذكرى العطرة التى اهتزت لجللها الأرض والسماء. وصفت لسماعها القلوب والآذان فى الآفاق. وكلما دار الفلك دورة عادت الذكرى. وقد بيَّن الحق تعالى أنَّ موعد الذبح بعد الصلاة عيد الأضحى فقال سبحانه **﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر﴾**.

وروى البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ. قال:« **أول ما نبدأ به في يومنا هذا أنْ نصلى، ثم نرجع فننحر، فمن فعل هذا فقد أصاب سنتنا، ومن نحر قبل الصلاة، فهو لحم قدّمه لأهله، ليس من النسك فى شىء** ».

*****

يـــوم عاشـــوراء

لقد امتدح رسول الله ﷺ شهر الله المحرم فقال: « **أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله الحرام. وأفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل**».

وقد ورد أنَّ الله تعالى. اختار من السنة ثلاث عشرات:

١ ـ العشرة الأخيرة من رمضان لما فيها من بركات ليلة القدر.

٢ ـ العشر الأول من ذى الحجة لما فيها من التروية ويوم عرفة والأضاحى. والتلبية. والحج. وأنواع النُسُك.

٣ ـ وعشر المحرم. لما فيها من بركات يوم عاشوراء .

والأشهر الحُرُم أربعة ثلاثة منها سرد، أى متتالية وواحدة فرد.

أمَّا الثلاثة السرد. فهم : ذو القعدة. وذو الحجة . والمحرم. وأمَّا الفرد. فهو شهر الله الحرام. رجب الذى شرفه الله تعالى بحادثة الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين منه.

وقد جاءت الأشهر الحرم في محكم آيات التنزيل قول الحق عز شأنه: ﴿ **إنَّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم**﴾.

وهو عاشوراء هو أبرز أيام شهر المحرم. وهو يوم كرمته الأنبياء لقول الله ﷺ: «**يومُ عاشوراء يومٌ كانت تصومه الأنبياء فصوموه**».

وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء. فلما فُرِضَ رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده. ولما سُئل رسول الله الله ﷺ عن صيام عاشوراء.« قال:« **يُكفر السنة الماضية**» وسُمى عاشوراء؛ **لأنَّه في** اليوم العاشر من المحرم، وقد وقعت فيه عشر معجزات. وأكرم **الله** تعالى فيه جماعة من الأنبياء . وهى التالية :ـ

١ ـ فيه اصطفى الله تعالى آدم عليه السلام.

٢ ـ فيه نجى الله تعالى نوحاً من الطوفان ومن معه من المؤمنين في السفينة.

٣ ـ نجى الله تعالى إبراهيم من نار النمروذ.

٤ ـ نجى الله تعالى يونس من بطن الحوت فاستجاب دعواه.

٥ ـ رد الله تعالى علي يعقوب بصره.

٦ ـ رد الله تعالى على سليمان ملكه.

٧ ـ كشف الله تعالى فيه ضر أيوب.

٨ ـ نجى الله تعالى فيه موسى من فرعون.

٩ ـ رفع الله تعالى فيه إدريس مكاناً علياً.

١٠ ـ أمَّا الحدث العاشر والأخير . فذلك المروع وهو ابتلاء أهل البيت واستشهاد الحسين في كربلاء. وتعد هذه ذكرى أليمة علي كل مؤمن. ويُعدُ يوم حزين على كل من يعتنق الشيعة من أهل العراق. إذْ يلومون فيه أنفسهم ويكفرون عن أجدادهم. فيأتون بأفعال وحشية يطعنون أجسامهم بالسيوف. ويعلمون أبناءهم الصغار ذلك.

وقد شهد يوم عاشوراء حدث أليم مروع إذْ فيه سقط كل آل بيت رسول الله من الذكور صرعى في كربلاء. إلا علي زين العابدين الذى كان صغيراً محموماً.

وسبب يوم كربلاء: أنَّ الحسين لما ثار لنقضى معاوية للصحيفة التى وقعها للحسين بن على شقيق الحسين رضى الله عنهم. ليتنازل له عن الخلافة. وفيها أمّر معاوية أنَّ الخلافة من بعده شورى للمسلمين. ولكنه عمل جاهداً لبيعة ابنه يزيد من بعده. واستخدم في ذلك أساليب لا ترضى الله ولا ترضى الرسول. ولا تُرضى أى ضمير يقظ مع الله تعالى من المؤمنين. فثار الحسين. وامتدت العداوة بعد تولية يزيد.

وقد أغرى أهل العراق الحسين بن على ليقدم عليهم. ولكن الغريب أنّ ألسنتهم كانت معه وسيوفهم كانت عليه. وخرج الحسين بآل بيت رسول الله ﷺ.

حتى يُجنِّب الحرم أى اعتداء.

وكان في انتظاره عبيد الله بن زياد. وكان فاجراً طاغية يعاونه رجال أشرار.، وحاصروا الحسين في كربلاء، وأكرهوه على القتال. وانتهت المعركة الغير متكافئة. بمصرع آل البيت في هذا اليوم الذى ما زال أهل العراق وكل من يعتنقون مذهب الشيعة يلومون أنفسهم كما أسلفنا، وفى الصحيحين: من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: كانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية وكان النبى ﷺ. يصومه فلما هاجر من مكة إلى المدينة. صامه وأمر بصيامه.

*****

أدب الأعياد

١ ـ يجب التزين خاصة عند الذهاب للصلاة. ولا يليق بمؤمن أنْ يذهب للصلاة بملابس النوم. ثم يلبس بعد ذلك الملابس الجديدة. فأنت ستحيى الله.

وتحية الله عز شأنه: يجب أن تكون في أجل الثياب وأحسن الزينة. وأجمل الطيب وقد أمر سبحانه النسل البشرى بالتزين عند كل مسجد فقال عز ثناؤه: **﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**.

والمعنى : أى يا من آمنتم بى وصدقتم رسلى على اختلاف رسالاتهم وتكاليفهم الشرعية. كل من اتخذ منكم مسجداً يسجد لى فيه ويعبدنى لا يشرك بى شيئاً. فليتزين بأحسن الثياب وأجمل الطيب عند لقائى للصلاة والدعاء والذكر والتسبيح والضراعة وغيرها فإنّ الله تعالى جميل يُحب الجمال طيبٌ لا يقبل إلا طيباً.

٢ ـ صوم يوم العيد حرام. والأكل والشرب فيه مباحٍ دون إسراف لقول الحق عز شأن تتمة للآية الكريمة: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لا يحب المسرفين﴾**.

فإنَّ الإسراف. إتلاف. والتقتير حرمان والتبذير. ينال به صاحبه مرتبة أخوة الشياطين لقول الحق تعالى: **﴿ إنَّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾**.

ونلاحظ في آية النهى عن الإسراف أنَّه سبحانه نفى فيها حبه للمسرفين: **﴿ إنَّه لا يحب المسرفين﴾** فعلمَ من السياق أنَّ الإسراف يُسبب بغض الرب سبحانه للمسرفين وهو أكبر خسارة وأفدح ضرر يقعان بالسرف.

٣ ـ يُستحب اللهو البرىء، أى الذى لا يخرج عن طاعة الله. ولا يسبب غفلة عن ذكر الله. ولا يكون فتنة وغواية. . وقد جمع الحق تعالى. بين إباحة الزينة وأكل الطيب من الرزق فقال سبحانه: بصيغة الاستفهام للمشددين **﴿ قل من حرَّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا في الحياة**

الدنيا خالصة يوم القيامة﴾.

أى ولهم بإيمانهم في الدنيا وعملهم الصالح. وأجمل منها وأفضل عند الله يوم القيامة ولا ريب فى أنَّ ما عند الله خير وأبقى : **﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾**.

ولقد دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ يوم عيد. فوجد عنده جاريتين تغنيان. فغضب. وظن أنهما انتهزتا فرصة نوم النبى ﷺ. وعبثنا . فقال: أمزمور الشيطان عند رسول الله ﷺ فكشف النبى لله عن وجهه وقال « يا أبا بكر إنَّ لكل قوم عيداً وإنَّ اليوم عيدنا».

٤ ـ يجب أنْ تسود المحبة والمودة والرحمة وصلة الأرحام. وأنْ يحيى المسلم أخاه بتحية الإسلام. ويقول تقبل الله منا ومنك».

وأنْ تنتهى العداوات فمن قطع رحمة خاصة في يوم العيد. فهو مفسدٌ في الأرض. استحق لعنة الله عز وجل فيما قرر القرآن قول الحق: **﴿فهل عسيتم إنْ توليتم أنْ تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾**.

ونلاحظ أنَّ النص القرآنى الكريم تضمن عقوبتين أخرتين لقاطع الرحم بعد اللعنة. هما الصم والعمى: فمن قطع رحمه نالته اللعنة من الله تعالى وأصم الله سمعه وأعمى بصره. ولعل هذا عائد إلى عهد الله تعالى. للرحم يوم أنْ خلقها سبحانه. فكانت تشبه شجنة[1] (الشجنة هى عقفة المسمار المثبت في المغزل) فتعلقت بعرش الله العظيم وقالت إلهى وسيدى وخالقى. خلقتنى ضعيفة إلى من يكلُنى. قال الله تعالى لها: «**لقد خلقتك بقدرتى واشتققت لك اسماً من أسمائى. فأنت الرحم وأنا الرحيم وعزتى وجلالى لأصلن من وصلك، ولأقطعن من قطعك**».

وفى رواية :« **لما خلق الله تعالى، الرحم، تعلقت بعرش الله العظيم. وقالت: إلهى وسيدى هذا مقام المستعيذ بك من القطيعة، فقال سبحانه أما ترضى أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك**».

---

(١) شجنة : المس المثبت في المغزل.

ولا يغيب عن مؤمن أنَّ قيطعة الأرحام هي أولى دعامات الفساد فى الأرض. دل علي ذلك قول الحق سبحانه: ﴿ **فهل عسيتم إنْ توليتم أنْ تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾.

فنعوذ بالله السميع العليم من قطيعة الرحم ومن القاطعين وأنْ يجعلنا سبحانه من الأبرار الواصلين لأرحامهم...

ولقد أوصى رسول الله ﷺ أبا هريرة فقال: « **عليك بحسن الخُلق** » قال وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال ﷺ:« **أنْ تصل من قطعك وتعطى من حرمك. وتعفو عمن ظلمك** ».

كما أوصى المسلمين أنْ يزينوا أعيادهم بالتكبير فقال ﷺ: « **زينوا أعيادكم بالتكبير** ». والتكبير فى عيد الفطر فى غروب شمس ليلة العيد وحتى يدخل الإمام في الصلاة. وأمَّا فى الأضحى فمن غروب شمس ليلة العيد وحتى ثالث أيام التشريق.

وقال ﷺ: « **من أحيا ليلتى العيد محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب** ».

وهذا ما أنعم الحق تعالى به ونعم الخالق سبحانه لا تحصى.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خادم القرآن والعلم

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

الفهرس